رأي الجاحظ في اللفظ والمعنى

(دراسة تحليلية وصفية)

البحث الجامعي

إعداد:

عـــبد الرحيم بن أحمد

٠٨٣١٠٠٣٨

شعبة اللغة العربية وأدبها

كلية العلوم الإنسانية

جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج

٢٠١٤

رأي الجاحظ في اللفظ والمعنى

(دراسة تحليلية وصفية)

البحث الجامعي

إعداد:

عـــبد الرحيم بن أحمد

٠٨٣١٠٠٣٨

شعبة اللغة العربية وأدبها

كلية العلوم الإنسانية

جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج

٢٠١٤

رأي الجاحظ في اللفظ والمعنى

(دراسة تحليلية وصفية)

البحث الجامعي

إعداد:

عـــبد الرحيم بن أحمد

٠٨٣١٠٠٣٨

شعبة اللغة العربية وأدبها

كلية العلوم الإنسانية

جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج

٢٠١٤

رأي الجاحظ في اللفظ والمعنى

(دراسة تحليلية وصفية)

البحث الجامعي

قدمه الباحث لإكمال أحد الشروط المقررة للحصول على درجة سرجانا بكلية العلوم الإنسانية شعبة اللغة العربية وأدبها

إعداد:

عـــبد الرحيم بن أحمد

٠٨٣١٠٠٣٨

المشرف:

محمد فيصـــل فتاوي الماجستير

شعبة اللغة العربية وأدبها

كلية العلوم الإنسانية

جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج

٢٠١٤

وزارة الشؤون الدينية
جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية بمالانج
كلية العلوم الإنسانية
العنوان : شارع غاجايانا رقم ٥٠ مالانج. رقم الهاتف: ٠٣٤١-٥٥١٣٥٤

موافقة المشرف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاتة

الحمد لله حمدًا كثيرًا وأصلي على أعظم رسله وخاتم أنبيـــائه وعلى آله وصحبه أجمعين كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

وبعد، فنقدم إلى حضرتكم هذا البحث الجامعى الذى كتبه الباحث:

الطالب : عبد الرحيم بن أحمد

رقم التسجيل :٠٨٣١٠٠٣٨

عنوان البحث : رأي الجاحظ في اللفظ والمعنى (دراسة تحليلية وصفية)

وقد قررنا بأنه يصلح تقديمه للامتحان والمناقشة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاتة

مالانج، ٨ أبريل ٢٠١٤م

المشرف

محمد فيصل فتـــاوي الماجستير

رقم التوظيف: ١٩٧٤١١٠١٢٠٠٣١٢١٠٠٤

وزارة الشؤون الدينية
جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية بمالانج
كلية العلوم الإنسانية
العنوان : شارع غاجايانا رقم ٥٠ مالانج. رقم الهاتف: ٠٣٤١-٥٥١٣٥٤

تقرير لجنة المناقشة

قد أجريت المناقشة على البحث الجامعي الذي قدّمه الباحث:

الاسم : عبد الرحيم بن أحمد

رقم التشجيل : ٠٨٣١٠٠٣٨

الموضوع : رأي الجاحظ في اللفظ والمعنى (دراسة تحليلية وصفية)

وقد قررت اللجنة بنجاحه واستحقاقه على درجة سرجان (S-1) شعبة اللغة العربية وأدبها لكلية العلوم الإنسانية جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية بمالانج.

تحريراً بمالانج، عام دراسي ٢٠١٣-٢٠١٤:

مجلس المناقشين:

١. الحاج عفران حنبلي الماجستير (_____)

٢. الدكتور الحاج ولدانا وركادينتا الماجستير (_____)

٣. أحمد خليل الماجستير (_____)

تحريرًا بمالانج،

عميد كلية العلوم الإنسانية

الدكتور الحاجة استعادة، الماجستير

رقم التوظيف: ١٩٦٧٠٣١٣١٩٩٢٠٣٢٠٠٢

وزارة الشؤون الدينية
جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية بمالانج
كلية العلوم الإنسانية
العنوان : شارع غاجايانا رقم ٥٠ مالانج. رقم الهاتف: ٠٣٤١-٥٥١٣٥٤

إقرار الباحث

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أقسم بالله عز جلاله الباحث في كون البحث:

الاسم : عبد الرحيم بن أحمد

رقم التسجيل : ٠٨٣١٠٠٣٨

عنوان البحث : رأي الجاحظ في اللفظ والمعنى (دراسة تحليلية وصفية)

ألّف وصنّف خالصاً ومحضّاً من ابتكاره وابتداعه بعون الله سبحانه وتعالى له، واقتطفاته البيانات من المراجع المتنوعة إكمالاً لبحثه. إضافة إلى ذلك استشار الباحث إلى المشرف المقرّر والمعيّن حتّى يبدو ويصبح بحثــاً متواضعًا.

الباحث

عبد الرحيم بن أحمد

وزارة الشؤون الدينية
جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية بمالانج
كلية العلوم الإنسانية
العنوان : شارع غاجايانا رقم ٥٠ مالانج. رقم الهاتف: ٥٥١٣٥٤-٠٣٤١

تقرير عميد الكلية

استلم عميد كلية العلوم الإنسانية جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية بمالانج البحث الجامعي الذي كتبـــه الطالب:

الاسم : عبد الرحيم بن أحمد
رقم التسجيل : ٠٨٣١٠٠٣٨
عنوان البحث : رأي الجاحظ في اللفظ والمعنى (دراسة تحليلية وصفية)

لإكمال أحد الشروط المقرّرة للحصول على درجة سرجانا (S-1) بكلية العلوم الإنسانية شعبة اللغة العربية وأدبها.

عميد كلية العلوم الإنسانية

الدكتور الحاجة استعاذة الماجستير
رقم التوظيف: ١٩٦٧٠٣١٣١٩٩٢٠٣٢٠٠٢

الشعـــــار

خَيْرُ النَّـــاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّـــاسِ (الحديث)

الإهـــداء

أهدي هذا البحث الجامعي إلى:

والديّ المحترمين المحبوبين مربّي روحي الحاج أحمد فوزان الشّكري والحاجة جمعة فوزان النّـــووي، عسى الله أن يرحمهما كما ربياني صغيرا وحفظهما وأبقاهما في سلامة الإيمان والإسلام في الدنيا والآخرة.

أساتذتي ومشايخي ومربّ روحي خصوصا إلى الشيخ صلحاء شريف الحاضري والشيخ محمد عدنان شريف الحاضري.

إخواني وأخوتي المحبوبين عسى الله أن يجزي أعمالهم.

زملائي وأصحابي في الله وفي حركة الطلبة الإسلامية الإندونيسية (PMII) ومن أحبني وأحسن إلى نفسي.

كلمة الشكر والتقدير

الحمد لله الذي جعل الإسلام دين القويم وأرشد عباده إلى الصراط المستقيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد الرسول الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين وجعلنا الله منهم السالمين في الدارين أمين. اللهم صلّ على سيدنا محمد صلاة تكتب بها الصدور وتشرح بها السطور وتهوّن بها الأمور برحمة منك ياعزيز ياغفور ولاحول ولاقوة إلا بالله العليّ العظيم. وبعد:

فإن من فضل الله تعالى وجل جلاله وتوفيقه على انتهاء هذا البحث ومساعدة من قد ساهم فيه من دعاء أو فكرة أو أموال حتى النهاية. ينبغي علي الشكر والتقدير إليه سبحانه وتعالى حتى يزيد الله لي علوماً نافعةً ومباركةً. فلذلك، أقدّم شكري وتقديري إلى من ساهم هذا البحث المبارك وهم:

١. فضيلة رئيس جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية بمالانج البروفيسور الدكتور الحاج موجيا راهارجـــو الماجستير.
٢. فضيلة عميد كلية العلوم الإنسانيّة الدكتور الحاجة استعادة، الماجستير.
٣. فضيلة رئيس شعبة اللغة العربية وأدبها محمد فيصل فتاوي الماجستير وكان مشرفـــاً لي في البحث على توجيهاته القيمة وإرشـــاداته الوافرة فيه، فلكاتب شعبة اللغة العربية وأدبها الصوفي إلى الله أحمد خليل الماجستير، عسى أن يكونا شيخـــا القطب ودكتوران عالمـــان نافعان واسعا العلم إن شاء الله.
٤. فضيلة والديّ المحترمين المحبوبين مربّي روحي الحاج أحمد فوزان الشّكري والحاجة جمعة فوزان النّـــووي اللّذين يربياني ويدعوان لي ويحثاني على التقدم والتطوّر لنيل النجاح في الدارين، جزا هما الله أحسن الجزاء في الدنيا والآخرة، أمين.
٥. فضيلة أساتذتي ومشايخي ومربّ روحي المكرمين خصوصا إلى الشيخ الحاج صلحاء شريف الحاضري والشيخ الحاج محمد عدنان شريف الحاضري الماجستير والشيخ الحاج حمزوي الماجستير والشيخ الحاج مرزوقي مستمر الماجستير و

والشيخ الحاج الدكتور مزكّي الماجستير وهم الذين علّموني العلوم صابرين ومخلصين لوجه الله جلّ جلاله ، عسى الله أن ينفعني بعلومهم وجعلهم من العابدين الآمنين السّالمين في الدارين.

٦. فضيلة أخي الكريم المحبوب بحر العلوم الدين وابنه محمد حيدر على أساد الله بحر العلوم الدين، جزا الله خير الجزاء.

٧. فضيلة أصحابي وزملائي الأحباء في الله وفي حركة الطلبة الإسلامية الإندونيسية (PMII) إمّا في "Perjuangan" Ibnu Aqil أو في "Sunan Ampel Malang" أو في "Jl. Mayjend. Panjaitan 164" أو في أنحاء أندونيسي، عسى الله أن يباركنا ويرحمنا ويرضى على كلّ أعمالنا دائمًا ودائمًا.

٨. فضيلة أصحابي وأصدقائي الأحباء في كاليميترو (*Kalimetro Community*)، أقول شكرًا وشكرًا جزيلاً.

٩. فضيلة أصحابي والتلاميذ والمعلّمين بالمدرسة المتوسطة المعـــاريف نهضة العلماء بمالانج (MTs. Ma'arif NU Kota Malang)، أشكر بالشكر الجزيل على أنهم يأتون في فراغ أفكاري وأوقـــــاتي.

١٠. فضيلة بنت تماجي التي تصاحبني وتحبّني وترحمني في وقت ومكان ما حتى تدعو لي وتحثني لإنهاء هذ البحث.

جزاكم الله أحسن الجزاء وكتب لكم أضعاف الحسنات في الدارين. أمين. وأرجو أن يكون هذا البحث الجامعي يعم نفعه لي خاصة ولجميع القرّاء الأعزّاء عامة . إن وجد فيه الأخطاء أرجو منكم الإصلاح وأطلب العفو من كل هفوة.

الباحث،

عبد الرحيم بن أحمد

ملخص البحث

عـــبد الرحيم. ٠٨٣١٠٠٣٨. رأي الجاحظ في اللفظ والمعنى (دراسة تحليلية وصفية). البحث الجامعي. شعبة اللغة العربية وأدبها، كلية الإنسانية، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية بمالانق. ٢٠١٤. تحت الاشراف: محمد فيصل فتـــــاوي الماجستير

الكلمة الرئيسية: الجاحظ، اللفظ، المعنى

مما بحث عن العلوم العربية هي العلوم التي يتوصّل إلى عصمة اللّسان والقلم عن الخطاء وهي ثلاثة عشر علما: الصرف والإعراب (ويجمعها، اسم النحو) والرسم والمعاني والبيان والبديع والعروض والقوافي والعرض والشعر والإنشاء والخطابة وتاريخ الأدب ومتن اللغة وأهمّ هذه العلوم الصرف والإعراب. والبيان أحد الأقسام منها التي ينقسم إليها علم البلاغة العربية. فالجاحظ في علم البلاغة والجمال، يضاهي مكانة الشافعي في أصول الفقه، فهو أول من فتق أبواب البيان، وأبان عن مكامن اللغة العربية الجمالية، أخذًا في ذلك جمع الصور اللفظية وغير اللفظية التي تحتضن الفكر وتعبر عن الدلالات والمعاني المختلفة. وأهمية الجاحظ —عند الباحث- لاتتفق عند الكون أول من كتب البيان العربي كتاباً مستقلاً. ولكن أهميته ترجع إلى أنه الرجل الذي تصدى لقضية البيان العربي ودافع عن هذه القضية دفاعاً كان به رائداً. فتبدو المشكلاتان هنا مفهوم المعنى واللفظ وعلاقتهما عند الجاحظ.

وإنّ هذه الدراسة دراسة كيفية (*Qualitative*) لأنّها تجمع البيانات من الكلمات و ليس من الأرقام. وعلى منهج الدراسة المكتبية (*Library Research*). والمنهج المستخدم في هذا البحث هو المنهج الوصفي (*Deskriftive Method*) وهو الذي يقدم وصفيًا للظواهر والأحداث.

ونتيجة البحث بتلخيص على قضية اللفظ والمعنى ترتبط ارتباطا وثيقا بمعنى البلاغة، فإذا كانت البلاغة هي: مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحة أجزائه. فإن

الجاحظ من أنصار اللفظ، وأنه يهمل جانب المعانى. فاللفظ عنده طريقة التعبير عن الفكزة، مكوّن أساسي من مكونات العلمية البيانية وجزء مؤثر في منطقتها الداخلي. فالألفاظ صورا وأشكالا وأثوابا، فالمعنى عنده جواهر، وجوار، تطلب وتقبل النفس عليها. مع أن المعنى على صفته هو قائم في الصدر ومتصور في الأذهان ومستور خفي وبعيد وحشي لايعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولاحاجة أخية وخليطه. فالمعنى شريفا واللفظ بليغا.

Abstract

Abdur Rahim, 08310038. ***Views of Al-Jahiz About Lafadz and Meaning*** *(Qualitative Descriptive Study)*. Thesis. The Department of Languages and Arabic Literature of Faculty of Humanities State Islamic University (UIN) Maulana Malik Ibrahim Malang. 2014. Supervisor: M. Faisol Fatawi, M.Ag

Keywords: Al-Jahiz, Lafadz, Meaning

Most discussion of Arabic Sciences is Arabic language. That in it, also discusses about how to avoid human error verbal (read : greeting) or writing . In the language itself there are thirteen branches of science , namely 1) *shorof* , 2) *i'rob* (or study *nahwu*/syntax), 3) the art of drawing, 4) science *Ma'ani* , 5) parrots , 6) *badi*', 7) *arudh* , 8) *qowafi* , 9) *lyric* , 10) composing (writing) , 11) speeches , 12) literary history , and 13) *mutun* al *lughoh* . While, the most important one of all that I have written above is *Shorrof* and *I'rob* (nahwu) . Science parrot is one of the topics that are part of the language of science balaghoh. Al-Jahiz in the science and esthetics balaghoh occupy or commensurate with the position of Imam Mohammad ibn Muhammad as-Shafi'i in fiqh uushul . He was a man who became a role model in the study of science and beautify bayan Arabic aesthetics.

This study used a qualitative approach because the data collected by qualitative narratives , not numbers or numbers with the data type of this research is to study literature (library research). The method of data presentation is descriptive of the findings . Importance of Al-Jahiz discussion because he is writing in depth discussion of the science of parrots though ultimately obscured by history. He is someone who is considered to be focused on the discussion of parrot Arabiyah . As well as being a pioneer in the study. This study will begin with two issues, namely the concept and meaning lafadz according to Al-Jahiz and relationship.

As a result of this study are summarized in the discussion about the meaning lafadz and is closely associated with science balaghoh . While balaghoh is the science that describes the suitability of speech degan context along with the truth of his words. Al-Jahiz in this case is people who supports the primacy lafadz and ignore the meaning. Lafadz for Al-Jahiz is a method to explain what is in the human mind. A

basic component in the epistemology reason Ilmiyah. Lafadz for him is empirical form, while the meaning is something that is abstract side and still at the level of the chest and only reflected in the idea that will never be known by any man what is in it. Meaning pristine nature while lafadz physical form words.

Abstraksi

Abdur Rahim, 08310038. ***Pandangan Al-Jahiz Tentang Lafadz dan Makna*** *(Kajian Deskriptif Kualitatif)*. Skripsi. Jurusan Bahasa dan Sastra Arab Fakultas Humaniora Universitas Islam negeri (UIN) Maulana Malik Ibrahim Malang. 2014. Pembimbing: M. Faisol Fatawi, M.Ag

Kata Kunci: Al-Jahiz, Lafadz, Makna

Sebagian pembahasan tentang Ilmu-ilmu Arab ialah bahasa arab. Bahwa di dalamnya membahas juga tentang bagaimana manusia terhindar dari kesalahan lisan (baca: ucapan) atau tulisan. Di dalam bahasa sendiri ada tiga belas cabang ilmu, yaitu 1) shorof, 2) i'rob (atau kajian nahwu/sintaksis), 3) seni menggambar, 4) ilmu ma'ani, 5) bayan, 6) badi', 7) arudh, 8) qowafi, 9) syair, 10) mengarang (tulisan), 11) pidato, 12) sejarah kesusastraan, dan 13) *mutun al lughoh*. Sedangkan yang menjadi inti pembahasan darin kesemuanya adalah ilmu shorof dan I'rob (nahwu). Ilmu bayan merupakan salah satu bahasan kebahasaan yang menjadi bagian dari ilmu balaghoh. Al-Jahiz dalam ilmu balaghoh dan estetika menempati atau sepadan dengan posisi Imam Besar Muhammad bin Muhammad as-Syafi'I dalam hal uushul fikih. Dia seorang yang menjadi panutan dalam kajian ilmu bayan dan memperindah estetika bahasa arab.

Kajian ini menggunakan pendekatan kualitatif karena data yang dikumpulkan berdasarkan narasi kualitatif, bukan data angka atau bilangan dengan jenis penelitian ini adalah studi pustaka (*library research*). Adapun metode pemaparan datanya adalah deskriptif terhadap hasil temuan. Pentingnya pembahasan tentang Al-Jahiz karena ia yang menulis secara mendalam pembahasan tentang ilmu bayan walaupun pada akhirnya dikaburkan oleh sejarah. Ia merupakan seseorang yang dianggap fokus pada pembahasan tentang *bayan arabiyah*. Serta menjadi pelopor dalam kajian tersebut. Penelitian ini akan dimulai dengan dua permasalahan, yaitu konsep lafadz dan makna menurut Al-Jahiz serta hubungannya.

Sebagai hasil dari penelitian ini secara ringkas adalah pembahasan tentang lafadz dan makna sangat erat kaitannya dengan ilmu balaghoh. Sedangkan balaghoh

merupakan ilmu yang menjelaskan tentang kesesuaian ucapan degan konteks bersamaan dengan kebenaran ucapannya. Al-Jahiz dalam hal ini adalah orang yang mendukung terhadap keutamaan lafadz dan mengabaikan makna. Lafadz bagi Al-Jahiz adalah metode untuk menjelaskan apa yang ada dalam fikiran manusia. Sebuah komponen dasar dalam nalar epistemologi ilmiyah. Lafadz baginya adalah bentuk yang empirik sedangkan makna adalah sesuatu yang sampingan yang sifatnya abstrak dan masih pada tataran dada dan hanya tergambar di kawasan ide yang tidak akan pernah diketahui oleh manusia manapun apa yang ada di dalamnya. Makna sifatnya murni sedangkan lafadz berbentuk fisik kata-kata.

الفهـــــــرس

تقرير المشرف ..... ب

تقرير لجنة المناقشة ..... ت

إقرار الباحث ..... ث

تقرير عميد الكلية ..... ج

الشعار ..... ح

الإهداء ..... خ

كلمة الشكر والتقدير..... د

ملخص البحث ..... ر

الفهرسات ..... ز

الباب الأول: مقدمـــــة ١

أ. خلفية البحث ١

ب. تحديد البحث ٧

ت. مشكلة البحث ٧

ث. أهداف البحث ٧

ج. أهميـــة البحث ٧

ح. الدراسات السابقة ٨

خ. منهجية البحث ١٠

الباب الثاني: الجاحظ: حيـــاته وثقافـــته و مؤلفـــاته ١٣

أ. الجاحظ في حياته وبيئته ١٣

١. اسمه وحياته ١٣
٢. الشيخوخة ١٨
٣. آثار الجاحظ..... ٢٠
ب. ثقافته..... ٢٥
١. المجتمع العباسي في نظر الجاحظ ٢٦
٢. نفوذ الأعاجم ٢٧
٣. الحرية الفكرية..... ٢٨
٤. المترجمون..... ٢٩
٥. أهل الكتّاب..... ٣١
ت. المعتزلة ٣١

الباب الثالث: اللفظ والمعنى عند الجاحظ ٣٦
أ. مفهوم اللفظ والمعنى ٣٧
١. تعريف اللفظ..... ٣٧
٢. تعريف المعنى ٤٠
٣. دور تكوين المعنى ٤١
ب. علاقة اللفظ والمعنى ٤٥

الباب الرابع: الإختتام..... ٥٩

المراجع والمصادر ٦٢
السيرة الذاتية ٦٨

الباب الأول

مقـــــــدمة

أ. خلفية البحث

إن اللغة من أعرق مظاهر الحضارة الإنسانية، بل هي أصل الحضارة وصناعة الرقي والتقدم. فهي تؤلف الحد الفاصل بين شعب وشعب أخرى، وبين أمة وأمة أخرى، بل بين حضارة وحضارة أخرى، لأن الأفراد الذين يتكلمون لغة واحدة لايتفاهمون بيسر وسهولة فحسب، وإنما هم قادرون على أن يؤلفوا مجتمعا إنسانيا موحدا متجانسا، لأن اللغة هي قوام الحياة الروحية والفكرية والمادية. فبها يعمق الإنسان صلته وأصالته بالمجتمع الذى يولد ويعيش فيه حيث تخلق اللغة من أفراد أمة متماسكة الأصول موحدة الفروع[1]. وكان الإنسان بوصفه كائنا ثقافيا واجتماعيا وأدبيا يريد أيضا أن يحصل على

١ حلمى خليل، مقدمة لدراسة اللغة (الأسكندرية : دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦ م) ص: ٥

ما حصل به الآخرون من مفاهيم وأفكار ومعتقدات وغيرها. وهو يعبر ذلك ويوصله ويتلقي بآدات هي اللغة، سواء كان بالمكتوبة أو المنطوقة أو الإشارة.

فاللغة هي وسيلة إنسانية لتوصيل الأفكار والانفعلات والرغبات عن طريق النظام من الرموز التي تصدر بطريقة إرادية[٢]. وعرّفها ابن جنّي بأن اللغة هي أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم[٣]. واستخدام اللغة نسبة لكل الإنسان لايستقل على تعيين مراده، لاسيما التكلّم باللغة العربية فهي لا تكفي بمعرفة مفرداتها فحسب، بل معرفة العلوم التي تتعـــلّق بها طريقة التعليم الصحيحة ولو كانت بعضها منها. وقد وصلت إلينا من طريق النقل وحفظها القرآن الكريم والأحاديث الشريفة. فمن حيث التعريف لم يتفق علماء اللغة على تعريف واحد للغة، ويعود عدم اتّفاقهم إلى ارتباط علم اللغة بعلوم عدة، أهمّها :علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم المنطق، والفلسفة، والبيولوجيا[٤] وغيرها. فكان كل عالم ينظر إلى اللغة من زاوية العلم الذي يعمل في ميدانه. فنظر فريق من البـــاحثين الســـابقين إلى اللغة من زاوية الفلسفة المنطقية، ونظر إليها فريق آخر من الناحية العقلية النفسية، كما عالجها فريق ثالث من زاوية وظيفتها في المجتمع.

إنّ معرفة اللغة العربية من الوسائل المهمّة لمعرفة الدّين الحنيف وهو الإسلام الذي يعلو ولايعلى عليه. فالعربية ليس كل إنسان يعرف ويفهمها إلاّ

---

٢ صبر ابراهم سيد، اللغة الاجتماعي، دار المعرفة الجامعة اكندرية .١٩٩٥ ص: ٣

٣ تونس محمد شاهين، علم الغة العام. دون سنة. ص: ١٣

٤ فمن هذا السبب، أخذ الباحث على ذي موضوع فإن المبحث أي فكرة أبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ هو من علماء البيولوجيا. وسيبحث الباحث فيما بعض.

من سكن في البلاد العربية أو يتعلّمها. ومعرفتها تحتاج إلى مفاتيحها منها علم النحو والتصريف والدلالات والبيـــان وغيرها. عرفنا أن اللّسان العربي أربعة عناصر وهي اللغة والنحو والبيان والأدب[٥].

قال صاحب جامع الدروس العربية إنّ العلوم العربية هي العلوم التي يتوصّل إلى عصمة اللّسان والقلم عن الخطاء. وهي ثلاثة عشر علما: الصرف والإعراب (ويجمعها، اسم النحو) والرسم والمعاني والبيان والبديع والعروض والقوافي والعرض والشعر والإنشاء والخطابة وتاريخ الأدب ومتن اللغة وأهمّ هذه العلوم الصرف والإعراب[٦]. فأما الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل فقال إن العلوم العربية اثنا عشر علما علم اللغة وعلم التصريف وعلم النحو وعلم المعانى وعلم البيان وعلم البديع وعلم العروض وعلم القوافى وعلم قوانين الكتابة وعلم قوانين القراءة وعلم إنشاء الرسائل والخطب وعلم المحاضرات ومنه التواريخ. والمراد بعلوم العربية هنا علم النحو فقط، وهو أنفع العلوم العربية إذ به تدرك جميعًا[٧]. وقيل إن علم الصرف أم العلوم، ظهر من هذا العلم وجود من أشكال الألفاظ المتنوعة في المعنى، وبوسيلة هذه الجملة يمكن علينا أن معرفة العلوم الكثيرة التى توجد فى هذا العالم. وقيل إن علم النحو أبو العلوم، وينظم تراكيب الجملة كي تكون الجمل المركبة صحيحة وسهلة للفهم.

---

٥ عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، لبنان: دار الكتاب العلمية (دون السنة). ص :٤

٦ مصطفى الغلايين، جامع الدروس العرابية، بيروت: دار الفكر ، ٢٠٠٠م. ص: ٧

٧ محمد بن أحمد بن عبد البارى الأهدل. الكواكب الدرية شرح متممة الآجرومية :الهداية سورابايا. ص: ٤

بنـــاءًا على الشرح السابق لابد لمن يريد فهم اللغة العربية أن يعرف ويفهم علومها وقواعدها جيّدا لأنّ لايخطأ تطبيقها في الكتابة أو المحادثة[٨].

وكلٌّ دور عظيم في حياة الإنسان لأنها تربط بين أفراد الأمة والجماعة. فاللغة هي وسيلة هامة لضم صفوف الأمة الواحدة، وجمع كلمة أفرادها. كما أنّها أدآة للتعبير عما يفكر به المرء، وآلة لعرض ما ينتجه العقل، وهي وسيلة التفاهم بين أفراد الجماعة الواحدة[٩]. ومبحث اللغات كثير، هو مختلفة من حيث اللفظ، متحدة من حيث المعنى، أي أن المعنى الواحد الذى يخالج ضمائر الناس واحد، ولكن كل قوم يعبرون عنه بلفظ غير لفظ الآخرين.

فالبيان أحد الأقسام الثلاثة التي ينقسم إليها علم البلاغة العربية. فالبلاغيون الذين اتّجهوا هذا الاتجاه كانوا آخر من ظهر على مسرح الدراسات البيانية، كما أن تصنيفهم ذاك لعلوم البلاغة لم يتقرر بصورة نهائية إلا في مرحلة متأخرة، وبكيفية خاصة مع السكاكي (المتوفى ٦٢٦ هـــ.) أما قبل ذلك فلقد كان مصطلح (البيـــان) يشتمل كافة الأساليب والوسائل التي تساهم ليس فقط في تكوين ظاهرة (البلاغة) بل أيضا في كل ما به يتحقق (التبليغ). إن البيان في اصتلاح رواد الدراسية البيانية : (اسم جامع) ليس هذا وحسب، بل عملية الإفهام أو التبليغ. بل أيضا لكل ما به تتم عملية الفهم والتلقي بكيفية عامة فهي التبيين[١٠]. فالبيان كما جاء في اللسان[١١] أي

---

[٨] سيد حمد هاشيمى، جواهر البلاغة. بيروت: دار الفكر، ١٩٩٤.

[٩] علي رضا، المرجع في اللغة الغربية نحوها وصرفها. الجز الأول. دار الفكر. ص: ٧.

[١٠] محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. ١٩٩٠. ص: ١٤.

[١١] أي لسان العرب مادة بين لابن منظور.

الفصاحة واللسان، وكلام بين: فصيح. البيان هو الإفصاء مع الذكاء، والبين من الرجال: السمح اللسان، الفصيح الظريف، العالي الكلام، القليل الرتج، وفلان أبين من فلان أي أفصح منه لساناً وأوضح كلاماً، ورجل بين أي فصيح[١٢].

وما أكثر الذين تناولوا هذا البحث في تاريخ النحو وتحدثوا عن نشأة الأولى، وما أكثر الآراء ذكرا فى هذا المجال، وذلك أنه منذ القرون الأولى. لكن ليس من بحث عن الجاحظ[١٣] إلا قليلا. فمع أنه من أول من فتح البحوث عن البيان في العربية.

فينقسم التعامل مع التراث العربي في الثقافة العربية إلى ثلاث مراحل أساسية هي: مرحلة الإحياء ومرحلة الوصف ومرحلة التفسير. وللجاحظ حضور في هذه المراحل الثلاثة إلى جانب شخصيات أخرى من أمثال عبد القاهر الجرجاني وسيبويه وابن جنّي وابن خلدون وغيرهم[١٤].

إن الجاحظ في علم البلاغة والجمال، يضاهي مكانة الشافعي في أصول الفقه، فهو أول من فتق أبواب البيان، وأبان عن مكامن اللغة العربية الجمالية، أخذًا في ذلك جمع الصور اللفظية وغير اللفظية التي تحتضن الفكر وتعبر عن الدلالات والمعاني المختلفة[١٥]. وقد أضحى في العصر الحديث فرعاً من

---

١٢ عبد الفتاح لاشين، البيان في ضوء أساليب القرآن. الطبعة الثانية. القاهرة: دار المعارف. ١٩٧٧. ص: ٧

١٣ هو ابي عثمان عمر بن بحر الجاحظ

١٤ يوسف منصر، الجاحظ في الخطاب اللساني العربي. الجزائر: جامعة عنابة. ٢٠٠٨. ص: ٢

١٥ منقور عبد الجليل، علم الدلالة: أصوله ومباحثه في التراث العربي. ٢٠٠١. ص: ١١٩.

اللسانيات وقد التمس له العلماء أسباباً فوجدوها عصبية نفسية تؤدي إلى اضـــطراب أساسي في بني اللغة وأطلقوا على ذاك المبحث العصب السني (*neurolinguistique*) تناول الجاحظ في كتبيه منها البيان والتبيين والحيـــوان والبخلاء.

الغاية من هذه المداخلة نتبع حضور الجاحظ اللغوي في الخطاب اللســاني العربي الحديث من خلال بعض نماذجه وكتاباته، والكشف عن السياق الذي تمّ استدعاء الجاحظ فيه، والغايات المرجوة من ذلك الاستدعاء، ولتحقيق ذلك أي تتبع صور الجاحظ من ناحية والموقف من هذا الحضور في الكتابات الحديثة ذات الطابع اللغوي من ناحية أخرى[١٦]. وأهمية الجاحظ – عند الباحث- لاتتفق عند الكون أول من كتب البيان العربي –كما سبق شرحه- كتاباً مستقيلاً. ولكن أهميته ترجع إلى أنه الرجل الذي تصدى لقضية البيان العربي ودافع عن هذه القضية دفاعاً كان به رائداً.

ملائمًا بهذه الخلفية -إذن- بزيادة المبحث عن اللغة، فاختار الباحث بحث عن هذا الموضوع بعنوان "رأي الجاحظ في اللفظ والمعنى" وتركيزا على دراسة تأليفاته.

١٦ يوسف منصر، الجاحظ في الخطاب اللساني العربي. الجزائر: جامعة عنابة. ٢٠٠٨. ص: ١

ب. تحديد البحث

تسهيلا لهذه عملية البحث الجامعي، التي عملها الباحث وتنحيا عن الأغلاط والأخطاء حدّده على اقتصار البحث على مبحث المعنى واللفظ وعلاقتهما عند الجاحظ في كتابه فهو البيان والتبيين والحيوان والبخلاء.

ت. مشكلة البحث

اعتماداً على ماقدمه الباحث في خلفية البحث فيبدو السؤالان ما يلي:

١. ما مفهوم المعنى واللفظ عند الجاحظ؟
٢. ما علاقة المعنى واللفظ عند الجاحظ؟

ث. أهداف البحث

ومن أهذاف هذا البحث التي أراده الباحث ما يلى:

١. معرفة تحليل وصفية مفهوم المعنى واللفظ عند الجاحظ
٢. معرفة تحليل وصفية علاقة المعنى واللفظ عند الجاحظ

ج. أهميـــة البحث

إن هذا البحث له الفوائد الكثيرة وهي تعود إلى وجهتين، وجهة النظرية ووجهة التطبيقية. فالأولى تعود إلى تطوّر وتقدّم معارف الطلاب اللغوية والأدبية لأنه يتضمن على المعلومات الجديدة سيما المتعلقة باللغة والأدب خاصة من ناحية إستمولوجية البيانية.

والثانية تعود إلى تطبيق العلوم اللغوية والأدبية المتعلقة بمهارة القراءة والكتابة في القراءة والتأليف والإنشاء التي تتسع إلى التعمق والتبحّر وكذلك اتساع معلومات الباحث في عملية البحث.

ح. الدراسات السابقة

قد عرفنـــا أن البحوث العلمية قد جرت منذ زمان طويل، فربّما كان المبحوث عليه متساويا عند عدة البحوث العلمية نظريّةً أكانت أو موضوعيّةً أو منهجيّةً.

فنسبة إلى البحث، فهناك الباحثون الذين بحثوا عن الجاحظ بالنظر إلى نتيجته في اللغة. فهناك الدراسات الأخرى التي وجدها الباحث في المكتبة طول قراءاته المراجع المصادر بما يتعلّق بهذا البحث. لكن كلها بالنظر إلى استواء المنهج أي على بحث العلماء اللغوية والأدبية، فهي ما يلي:

١. محمد عابد الجابري، ١٩٩٠. بنية العقل العربي (دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة الثفافة العربية). هو بحث عن عملية بنية العقل العربي من حيث النصّ والثقافة، والحضارة وغيرها. وفيه أيضا عن اللغة والبلاغة أي اللفظ والمعنى. فالجابري في بحثه يقول أن البيان من حيث جزء دراسة البلاغة هو قضية أساسية ل بنية العقل العربي. مختالفا على الجابري، فالبحث الذي بين أيديكم يدرس عن آراء الجاحظ فقط من حيث اللفظ والمعنى على مناسبة اللغة والأدب.

٢. خليل الله محمد عثمان بودوفو، الجاحظ ونقد الشعر (دراسة وصفية تحليلية). قسم اللغة العربية جامعة إلورن، إلورن. يبحث عن مفهوم الجاحظ عن الشعر وموقفه من نقاد المدرسة القديمة الذين حكم عليهم بعدم تذوق الشعر ونقده، وتأثير الجاحظ فيمن جاء بعده من النقاد (قدماء ومعاصرون)، فيبحث أيضا عن المنهج للجاحظ وهو تخير الألفاظ والافتنان فى تخيرها وصياغتها، لأن جودة الشعر لا تظهر فى الأشياء التى يعرفها الناس ويعلمها الأدباء وإنما تظهر جليا فى جودة التشبيه، وحسن الاستعارة وابتكار الصور المختلفة. مكتوب في (*The Fais Journal Of The Humanities, Bayero University, Kano, Nigeria. Vol. 4, No. 2 July, pages 261-287*)

٣. إيليا مفيدة، ٢٠١٢، الجاحظ وأهمية كتابه الحيوان في الأدب العربي (دراسة وتحليل). جامعة السلامية الحكومية بيكالونجان. بحثـــتْ عن أهميّـــة كتاب الحيوان وترجمة المصطلح العلمي عند الجاحظ. وهذا البحث مطبوع في (*International Seminar, STAIN Pekalongan in Collaboration with Suez Canal University, Egypt 2012. "The Role of the Arabic Language in Achieving Global Civilization"*)

٤. عمر حسن أبو غليون. ٢٠٠٨. النقد الأدبي في مؤلفات الجاحظ. رسالة الماجستير في الأدب قسم اللغة العربية وآدابها جامعة مؤتة. فبحث عن مفهوم البلاغة عند الجاحظ ومنهجه في نقد الشعر. وفيه بحث عام عن اللفظ والمعنى، الباحث يعلّقهما بالمبحث عن البلاغة والنقد.

اعتقد الباحث أنّ دراسته لاتستوي بدراسة أخرى نظريّة أكانت أو موضوعيةً. وأراد إحضار بحث جديد محصوص على الموضوع "رأي الجاحظ في اللفظ والمعنى".

خ. منهجية البحث

لبيان المشكلات في هذا البحث، فالباحث يحتاج إلى طريقة أو منهجية توافق الإجابة عليها وهي ما يلي:

١. نوع البحث ومدخله

هذا البحث نوع من الدراسة المكتبية (*Library Research*) وهي دراسة تقصد بها جمع البيانات والأخبار بمساعدة المواد الموجودة في المكتبة مثل الكتب والمجلات والوثائق وغيرها. لأن مصدر هذا البحث تؤخذ من الكتب العربية التى تتعلق بهذا البحث ومن المعاجم العربية خاصة معجم الوسيط. والمنهج المستخدم فى هذا البحث هو المنهج الوصفي. المنهج الوصفي هو لا يهدف إلى التدليل على صحة فروض البحث أو بعبارة . أخرى أن المنهج الوصفي لا يهتم إلى تصميم فروض البحث. والمنهج المستخدم في هذا البحث هو المنهج الوصفي (*Deskriftive Method*) وهو الذي يقدم وصفيًا للظواهر والأحداث.

وأما الحقائق لهذا البحث تسمى بالحقائق الكفية (*Data Kualitatif*) لأن الباحث سيعبرها تعبيرًا لفظيًا للحصول إلى نتيجة البحث.

٢. مصادر البيانات

إنّ هذا البحث دراسة تحليلية وهي تحليل المسائل والقاضية المتعلقة بالبحث. وتنقسم مصادر البيانات في هذا البحث إلى مصدرين: المصدر الأول هو المصدر الرئيسي أو الأساسي فهي البيانات التي تجمعها الباحث ويحللها من البيانات الأوليّة من مؤلفاته البيان والتبيين[١٧] والبخـــلاء[١٨] والحيـــوان[١٩]، والمصدر الثاني هو المصدر الثانوي من الكتب المتعلقة بها مثل البحوث من قبل والكتب التي بحثت عن الجاحظ واللفظ والمعنى.

٣. طريقة جمع البيانات

إنّ الطريقة المستخدمة لجمع البيانات هي الدراسة المكتبية وهي الدراسة يقصدها جمع البيانات والأخبار المواد الموجودة في المكتبية مثل الكتب السلف الذي يتعلق بالنحو سواء كان عن علماءه و تاريخه. فالطريق التي يستخدمها الباحث في علمية جمع البيانات هي طريقة

---

١٧ أبي عثمان بن عمر بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين (الطبعة السابعة). القاهرة: مطبع مدابي. ١٩٩٨.

١٨ أبي عثمان بن عمر بن بحر الجاحظ، البخلاء (بتحقيق وشرح طه الحاجري)، (الطبعة السابعة). القاهرة: دار المعارف.

١٩ أبي عثمان بن عمر بن بحر الجاحظ، الحيوان (بتحقيق وشرح عبد السلام هارون). القاهرة: دار المعارف.

وثائقية، وهي المحاولة ليتناول البيانات من مطالعة الكتب والمذكرة الملحوظة وغيرها[٢٠].

فيحتاج أيضا إلى دقة طريقة فى جمع البيانات لنيل البيانات الدقيقة. فيعمل الباحث في إجراء جمع البيانات بجمع الوثائق أو الكتب التى تتعلق بالموضوع المبحوث. بعد أن يجمع الباحث البيانات في هذا البحث فكان الباحث يحللها تحليلا مضمونـــيًّا (*Content Analysis*).

فالطريقة التي تستخدمها الباحث في جمع البيانات هي الطريقة الوثائقية أي طريقة عملية لجمع الحقائق والمعلومات على طريقة الوثائقية (*Metode Dokumenter*) بالنظر إلى الوثائق الموجودة فى مكان معين من المعاجم العربية والكتب التى تتعلق بهذا البحث[٢١].

وأما طريقة جمعها في هذا البحث بتخطيط الخطوات للحصول على النتائج المرجوة والممتازة وهي ما يلي :

أ. القيام بقراءة المصدر الرئيسي أو الأساسية وقراءة الكتب المتعلقة.

ب. القيام باستخراج الأفكار أو خرائط المفاهيم (*Mind Mapping*)

ج. استخراج مفهوم النظرية أي الألفاظ والمعنى.

د. تحليل الأفكار للجاحظ مما يتعلق باللغة خاصة في الألفاظ والمعنى.

ه. الاستنباط أو الاستنتاج

---

٢٠ Marzuki. *Metodologi Riset*. Yogyakarta: BFEE UII, 2000. hal. 55

٢١ عبد الرحمن أحمد عثمان، مناهج البحث العلمي، وطرق كتابة الرسائل الجمعية. أفريقية: جامعة خرطوم. ١٩٩٠.

الباب الثاني

الجاحظ: حياته وثقافته ومؤلفاته

أ. الجاحظ في حياته وبيئته

إن شهرة الجاحظ الواسعة التي تمنع بها في عصره وبعد عصره، إلى يومنا هذه تجعلتا في غني عن الترجمـــة له، أو التعريف به، فقد خصصت للترجمة له كثير من المصنفات وأفردت بالتعـــريف به كثير من الكتب.

١. اسمه وحياته

هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الفقيمي[٢٢]. لقّب بالجاحظ لجحوظ عينيه، أي نتوئها. وكان هذا اللقب لا يعجبه، على ما يظهر، فيتبرم بمن يدعو به، ويجهد نفسه لكي يقرّر في أذهان الناس أن اسمه

٢٢ يقال عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي، انظر فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية. ٢٠٠٥. ص: ١٩. سنبحث بعدُ.

(عمرو)، وأنه يحب أن يدعى بهذا الاسم، وأن اسم (عمرو) أرشق الأسماء وأخفّها وأظرفها وأسهلها مخرجا[٢٣].

كان قصير القامة، دميم الوجه، يضرب المثل ببشاعته. ولكنه كان خفيف الروح، حسن العشرة، ظريف النكات، يتهافت الناس إلى الاستماع بنوادره.

ولد أبو عثمان في البصرة حوالي سنة ٧٧٦ (١٦٠ هـ)، ومات فيها سنة ٨٦٩ (٢٥٥ هـ). وقد اختلفت آراء المؤرخون بصدد تاريخي ولادته وموته إلاّ أنّ معظمهم اتفق على ما ذكرناه[٢٤]. ولكن الصحيح ما أقرّ هو به ورواه ياقوت في معجمه، فقد روي عنه قوله: ((أنا أسن من أبي نواس بسنة، ولدتُ أول سنة خمسين ومائة وولد في آخرها))[٢٥].

وتضاربت الآراء كذلك بشأن أصله، فمنها ما يفيد أنه كناني ليثي، ومنها ما يؤكد أنه مولى أبي القلمس عمرو بن قلع الكناني، وأن جدّه أسود يقال له فزارة وكان جمّالا عند ابن قلع.

نشأ يتيماً بأسرةٍ فقيرةٍ معدمة[٢٦] وميّالاً إلى العلم، فكان يخالط المسجديين[٢٧] في البصرة تارة، ويختلف إلى أحد الكتاتيب طورا. وقد روي

---

٢٣ انظر جميل جبر، الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد، بيروت: دار الصادر. دون سنة. ص: ٧-٨

٢٤ فمن قائل أن ولادته في سنة ١٥٩ هجرية، انظر ترجمة الجاحظ في تاريخ بغداد، ١٢/ ٢٢١٢، والفهرست ص:١٦٩، ولسان الميزان: ٤/ ٣٥٥، ومعجم الأدباء: ٤/ ٤٧٣.

٢٥ فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية. ٢٠٠٥. ص: ٢١

٢٦ المراجع السابق، ص: ٢١

٢٧ طائفة من العلماء، وأرباب النحو واللغة كانت تجتمع في مسجد البصرة

شيئا عن ذكرياته في ذلك العهد قال[٢٨]: (رأيت كلبا مرّة في الحيّ، ونحن في الكتاب، فعرض له صبي يسمى مهديا من أولاد القصابين، وهو قائم يمحو لوحه، فعض وجهه، فنقع ثبيه دون موضع الجفن من عينه اليسرى، فخرق اللحم الذي دون العظم إلى شطر خده، فرمى به ملقيًّاعلى وجهه، وجانب شدقه، وترك مقلته صحيحة، وخرج منه من الدم ما ظننت أنه لا يعيش معه، وبقي الغلام مبهوتا قائما لاينبس، وأسكنه الفرع، وبقي طائر القلب، ثم خيط ذلك الموضع، ورأيته بعد ذلك بشهر، وقد عاد إلى أن برئ، ولا هرّ، ولا دعا بماء، حتى إذا رآه صاح: ردّوه، ولا بال جروًا، ولا علقا، ولا أصابه مما يقولون قليل ولا كثير).

تدلنا هذه القصة على دقة الملاحظة التي تميز بها الجاحظ منذحداثنه، فأنمها التمرس من بعد، بقدر ما تدلنا على الطبقة الاجتماعية الفقيرة التي نشأ فيها. فهو عصامي، كان يعلم ويتعلم في آن. ويذكر بعضهم أنه كان يبيع الخبز والسمك بجوار نهر سيحان (في البصرة).

عاشتْ أسرته في ضنك من العيش، وتكد وتجتهد في سبيل الحصول على لقمة العيش، وتوفي والده وهو طفل صغير، فكلّفته أمه التي لاتملك شيئاً، فلم يجد الطفل بداً من تحمل أعباء الحياة منذ نعومة أظفاره، فأخذ يعمل

٢٨ الحيوان، ج:٢، ص:٥، في جميل جبر، الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد. بيروت: دار الصادر.

ويكد في سبيل الحصول على ما يسد الرمق، و لم يجد أمامه عملاً إلاّ أن يبيع الخبز والسمك في احدى جهات البصرة[٢٩].

لم تكن آفاق البصرة،[٣٠] على رحبها، لتكفي أبا عثمان، فانصرف عنها إلى بغداد، عاصمة العالم الإسلامي، في ذلك العهد. وكانت تجذب إليها نخبة المفكرين وأهل الفن. فهذه المدينة ما كانت يومذاك مركزا من أهم المراكز الاقتصادية في العالم وحسب، بل كانت أيضا وخصوصا عاصمة العالم و الأدب والحمال. وكان تساهل الخلفاء العباسين حازفا للكتّاب، أيًّا كان مذهبهم وأصلهم، على الإقامة فيها فصارت على حقّ عين العراق يوم كانت العراق عين العالم. وقد أفاد الجاحظ من حو بغداد هذا لتوسع ثقافته وتكنترها.

استدعى المـــأمون الجاحظ على أثر كتاب وضعه عن (الإمامة) وصدّره ديوان الرسائل. وما انقضت ثلاثة أيام حتى استعفى من منصبه فأعفي. وكان سهل بن هارون يقول: إن ثبت الجاحظ في هذا الديوان أفل نجم الكتاب . وما كان تمرده الفطري على القيود ليبقيه في الديوان أكثر مما بقي. إلا أنه بقي للخليفة مخلصًا وفيًا، فأيسرت حاله بعد بؤس.

---

٢٩ فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية. ٢٠٠٥. ص: ٢١

٣٠ في ذلك العهدد كان يلتقى الفصاحة شفاها عن الخطباء والشعراء الذين كانوا يترددون إلى أحد أسواق البصرة المعروف بالمزيد، وكان يجالس بعض أئمة اللغة كإبن وهب والأخفش. ويقال إنه كان يكتري حوانيت الورّاقين وبيت فيها أحيانا للمطالعة.

كيف سأله أحدهم: يا أبا عثمان، كيف حالك؟ فقال الجاحظ: (سألتني عن الجملة فاسمعها مني واحدًا واحدًا، حالي أن الوزير يتكلم برأيي وينفذ أمري ويواتر الخليفة الصلات إلى، وآكل من لحم الطير أسمنها، وألبس من الثياب أفخرها، وأجلس على ألبن الطبري، وأتكئ على هذا الريش، ثم اصبر على هذا حتى يأتي الله بالفرج، فقال له الرجل: الفرج ما أنت فيه، قال : بل أحب أن تكون الخلافة لي، ويعمل محمد بن عبد الملك بأمري، ويختلف إلي، فهذا هو الفرج).

ولما توفي المأمون لازم الجاحظ محمد بن عبد الملك وزير المعتصم المعروف بابن الزيات وانحراف عن القاضي أحمد بن أبي دؤاد، للعداوة بين أحمد ومحمد، فلما قبض على ابن الزيات هرب الجاحظ فقيل له لماذا هربت؟ فقال خفت أن أكون ثاني اثنين أذّهما في التنوّر.[٣١]

غير أن هرب الجاحظ لم ينجّه طويلا من شر القاضي بن أبي دؤاد، فقد حدّث اسحق الموصلي قال:[٣٢] (كنت عند أحمد بن أبي دؤاد بعد قتل بعد الزيات، فجيء بالجاحظ مقيدًا، وكان من أصحاب ابن الزيات، وفي ناحيته، فلما نظر إليه قال: والله ما علمتك إلامتناسيًا للنعمة، كفورًا للصنيعة، معدّدا للمساوئ، وما فتني باستصلاحي لك، ولكن الأيام لا تصلح منك إلاّ لفساد طويتك، ورداءة دخلتك، وسوء اختبارك، وتغالب طبعك، فقال له الجاحظ :

---

٣١ كان ابن الزيات قد صنع، في أيام وزارته، تنورا من حديد يعذب فيه المصادرين فلما اعتقله المتوكل أمر بإدخاله في التنور.

٣٢ معجم الأدباء ليقوت، جزء ٦، ص ٥٨ في جميل جبر، الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد. بيروت: دار الصادر.

خفض عليك، ولأن أسيء وتحسن، أحسن عنك من أن أحسن فتسيئ، وإن تعفو عني حال قدرتك، أجمل من الانتقام مني، فقال له ابن أبي دؤاد : قبحك الله، ما علمتك إلا كثير تزويق الكلام، وقد جعلت ثيابك أمام قلبك، ثم اصطفيت فيه النفاق والكفر، ما تأويل هذه الآية : (وكذلك أخذ ربّك إذا أخذ القرى وهي ظالمة، أن أخذه اليم شديد) قال: تلاوتها تاويلها، أعز الله القاضي، فقال: جيئوا بحداد، فقال: أعز الله القاضي، ليفك عني أو ليزيدني، فقال: بل ليفك عنك، فجيء بالحداد، فغمزه بعض أهل المجلس أن يعنف بساق الجاحظ، ويطيل أمره قليلاً، فلطمه الجاحظ وقال: اعمل عملاً شهر في يوم في ساعة، وعمل ساعة في لحظة، فإن الضرر على ساقي، وليس بجذع ولا ساجة ! فضحك ابن أبي دؤاد وأهل المجلس منه، وقال ابن أبي دؤاد لمحمد بن منصور وكان حاضرا : أنا أثق بظرفه ولا أثق بدينة، ثم قال: يا غلام، ضربه إلى الحمام، وأمط عنه الآذى، واحمل إليه تخت ثياب، وطويلة، وخفًّا، فليس ذلك، ثم أتاه فتصدر في مجلسه، ثم اقبل عليه وقال: هات الآن حديثك يا أبا عثمان)[٣٣].

٢. الشيخوخة

غير أن الزمان الذي بسم للجاحظ في شبابه، على شيء من العبوس، ما عتّم أن ناواه دونما رحمة في مرحلة العمر الأخيرة. لقد أصيب أبو عثمان بالفالج فاعتزل الناس، إلا أقلهم، وبرم بحظة. وفي تلك السنين العصيبة كان

٣٣ انظر جميل جبر، الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد. بيروت: دار الصادر، ص: ١٠-١٢

القلم رفيقة الدائم يستعينه على مصابه وعلى جحود خلّانه. وكتب عهد ذاك في كتاب (الحيوان) مبررا اضطرب بعض فصوله قال: (وقد صادف هذا الكتاب مني حالات تمنع من بلوغ الإرادة فيه، أولى ذلك العالة الشديدة، والثانية قلة الأعوان، والثالثة طول الكتاب).

إبّان مرضه هذا مضى أبو معاذ الخولي المتطبّب وصحبه يعودونه في مترله. فلما أخذوا مجلسه أتى رسول المتوكل، فقال له الجاحظ : (وما يصنع أمير المؤمنين بشق مائل، ولعاب سائل. ثم أقبل على أبي معاذ ورفقانه وقال لهم : (ما تقولون في رحله اه شقّان، أحدهما لوغرز بالمال ما أحسّ، والشق الآخر يمرّ به الذباب فيغوث، وأكثر ما أشكوه الثمانون))[٣٤].

وقضى في فراشه السنين الطوال وهو يغالب الداء متيائسا فاضطرّ آخر الأمر إلى الانقطاع حتى عن القلم والكتاب. وزاره المبرّد، وهو على ذلك على ذلك البؤس، فسأله كيف الحالة، فقال : (كيف يكون من نصفه مفلوج لو حزّ بالمناشير لما شعر به، ونصفه الآخر منقّرس لو طار الذباب بقربه لآلمه، وأشدّ من ذلك ستّ وتسعون سنة أنا فيها)[٣٥] ثمّ أنشد:

أترجون أن تكون وأنت شيخ كما قد كنت أيّام الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب دريس كالجديد من الشباب

---

٣٤ أمالي القالي، الجزء الأول، ص ٥

٣٥ معجم الأدباء لياقوت، الجزء ٦، ص ٧٩

وكان يطلي نصفه الأيمن بالصندل والكافور لشدة حرارته، بينما كان النصف الأيسر شديد البرد. لقد اصطلحت الأضداد على جسده، على غير رحمة، فكان إن أكل باردا أخذ برجله، وإن أكل حارّا أخذ برأسه. ومازال به الداء عنيفًا لايهاود حتى قضى عليه انطفاء.

بين مدّ مرهق وجزر مشرق، تميزت حياة الجاحظ بطابع خاص. كان دأبه أن يوطد مقامه في عاصمة الإسلام، غداد، بفضل مواهبة وبفضل الاستقلال الذي يوفره المال أو العصمة التي يؤمنها عطف الحاكمين سعيدا. كان أقصى مناه أن يحوط إقامته في حاضرة الرشيد بالأمن والرفاء الضرورين له ليدافع عن مبادئه المنطقية وينشرها ويتسنى له العيش الرغد الذي أراد.

أجل كلفته كثيرا حماية البلاط وما تقتضيه من محاباة وتملّق، لكنها أنالته فوائد جمّة. حسبها أنها أتاحت له الحرية الكافية ليعلن ما يفكر به، بل حسبها أنها وستعت أمامه آفاق الاختبار والملاحظة، فساعدته على أن يكون أصدق وأدق شاهد لعصره.

٣. آثار الجاحظ

قلّما كتب أديب مقدار ما كتبه الجاحظ. فهو لم يدع باباً إلاّ ولجه ولا بحثا إلا حال فيه. ولقد كان له من الثقافة الموسوعية ما جعله يكتب في كل فروع العلم والأدب والسياسة والدين والفلسفة واللاهوت المعروفة في زمانه، حتى زعم ابن الجوزي أن كتبه بلغت ٣٦٠ كتاباً.[٣٦] تناول فيها مواضيع شتى

٣٦ يقول المسعودي إنها ١٣٥ ويؤكد ياقوت إنها جاوزت ص ١٨٠

على غير وحدة في الجوهر أو تسلسل في المنطق. ففي كتاب (الحيوان) مثلاً، وهو مبدئيا بحث علمي بحث، تجد معظم آراء الجاحظ في مذاهب المعتزلة، كما تجد طائفة من نقادته الاجتماعية. فينا هو يعالج أمراً علمياً خطيراً تراه ينتقل فوراً إلى نادرة مضحكة، أو إلى ملاحظة لا شأن لها البتة بالموضوع الأصيل. وأخاله كان يلجأ إلى هذه الطريقة الغريبة رغبة منه بتبديد الملل عن القرّاء وتشويقهم إلى متابعة فصوله. وقد قال دفاعاً عن نظريته هذه: (إن كنّا قد أمللنا بالجدّ، وبالاحتجاج الصحيحة والمروجة، لتكثر الخواطر، وتشحذ العقول، فإننا سننشطك ببعض البطالات، وبذكر العلل الظريفة ... لك في هذا الكتاب ثلاثة أشياء : تبين حجّة طريفة، أو تعرّف حيلة لطيفة، أو استفادة نادرة عجيبة، وأنت في ضحك منه إذا شئت، وفي لهو إذا مللت الجدِّ).

أمّا أهمّ الآثار التي تركها صاحبنا من كتب ورسائل وأبحاث فهي:

١) **كتاب الحيوان**[٣٧] (سبعة أجزاء)، وهو بحث ضخم يتناول فيه المؤلف، وهو يصف طبائع الحيونات، شؤوناً لا علاقة لها ابداً بعنوان الكتاب. إنه موسوعة منوّعة تضمّنت بحوثاً في التعاليم الدينية، من اليهودية إلى المانوية، إلى الزرادشية، إلى النصرانية، إلى الإسلامية، إلى الإلحادية من دهرية ووثنية، بما في هذه الديانات والوثنيات من شيع ونزعات ومذاهب، كمت تضمنت خواطر شخصية على هامش الحياة أو نوادر وفكاهات. أما الغاية الأولى من وضع هذا الكتاب

٣٧ صدرت منه طبعة حديثة في القاهرة دققها عبد السلام هارون

فلعلها على الصعيد الديني تمجيد للخالق من خلال عجائب الكون وامتداح للإسلام في قوة شرائعة، بقدر ما هي، على الصعيد العلمي، نظرة شاملة في علم الحيوان وفروعه.

أما المراجع التي استند إليها الجاحظ فمن أهمها مباحث أرسطو وديموقريطوس وجالينوس وأبي عبيدة في الحقل العلمي. ويظهر أن كتاب (الحيوان) هو آخر ما صنّف بدليل أنه يذكر فيه سائر كتبه بما فيها (البخلاء)

٢) **كتاب البخلاء**[٣٨] دراسة أدبية نقدية فكهة جمع فيها أبو عثمان أخبار البخلاء والمبخلين في عصره من أهل البصرة وخراسان بنوع خاص. وصوّر لنا نماذج حية ناطقة من أولئك الذين استهواهم الدرهم حتى العماية، فصاروا أضحوكة الناس ومدار تندرهم.

أمّا غايته من هذا الكتاب الطريف، الذي لم يفقد طراوته على الزمان، فهي على ما يبدو وسرد نوادر البخلاء واحتجاج الأشحّاء، وتفسير قصدهم من تسمية البخل إصلاحاً والشحّ اقتصاداً، وبيان نواياهم من جعل الجود سرفاً والأثرة جهلاً. فكأنني بالمؤلف شاء أن يُظهر، بشكل تهكمي بارع، حقارة البخلاء ليعظّم سخاء العرب عن طريق مقارنة النقيضين.

---

[٣٨] ترجمة إلى الفربسية شارل بلآ وصدرت منه مؤخرا طبعتان منقحتان في العربية واحدة في مصر (دققها طه الحاجري) والثانية في بيروت (دققها كرم البستاني)

من خلال صوّر البخلاء والأشحّاء يلقى الجاحظ في هذا الكتاب، أكثر منه في أي كتاب آخر، أضوأ كشّافة على بيئة عصره في شتى نواحيها. فكتاب بغداد والبصرة وخراسان وخصوصاً من عهد الرشيد إلى عهد المتوكل. ولا تقلّ قيمة الكتاب الأدبية عن قيمة التاريخية، فهو على وجه الإجمال.[٣٩] من أرشق آثار الجاحظ أسلوباً وأكثرها متعة.

٣) **البيان والتبيين.** هو من أهم كتب الجاحظ، قال فيه ابن خلدون : (وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين: وهي أدب الكاتب لا بن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي على القالي. وما سوى هذه الأربعة فتبع لها، وفروع عنها).[٤٠]

في هذا الكتاب يخلط الجاحظ، كعادته، بين علوم البلاغة والأدب واللغة والتاريخ والمنطق. وهو على كل حال مرجع أدبي وثيق. وكانت الغاية من وضعه الردّ على الشعوبية تفوّق العرب في البلاغة.

٤) **رسالة التربيع والتدوير.** هي رسالة وضعها الجاحظ في هجاء أحمد بن عبد الوهّاب وأفرغ فيها من سمّه بقدر كبير. ومما قاله في قذع بن عبد الوهّاب أنه يعدّ أسماء الكتب ولايفهم معانيها، ويحسد العلماء

[٣٩] فيه إلى هذا بعض الابهام وبعض الكلام الغريب

٤٠ المقدمة، ص ٨٠٥

من غير أن يتعلق فيهم بسبب، وليس في يده من جميع الآداب إلا الانتحال لاسم الأدب.

في هذه الرسالة الفريدة التي يتنادر بها أبو عثمان على مهجوّه يطرح عليه قصد تعجيزه ومعاياته مئة مسألة تناولت معظم المعضلات العلمية التي شغلت مجتمع من تاريخ ، إلى فلسفة، إلى كيمياء، إلى لاهوت، إلى حيوان، إلى نبات.

والمعضلات التي يذكرها الجاحظ في أسئلة المحرجة لا يحلها طبعاً في رسالة التربيع والتدوير القصيرة بل يحيل مناظره في كل مسئلة إلى كتاب معين من كتبه. إنها تظهر مدى معارف الجاحظ الموسوعية، بقدر ما تظهر لذعته التهكمية الجارحة.

٥) **سائر الرسائل.** كتب أبو عثمان رسائل كثيرة، إضافة على هذه الكتب، في مواضيع شتى : منها في الفلسفة والدين، كرسالته في فضيلة المعتزلة أو الردّ على النصارى، ومنها في السياسة، كرسالته في مناقب الترك، أو فخر السودان على البيضان، أو العثمانية، أو رسالة في بنى أميّة، ومنها اجتماعية كالقيان والعشق والنساء. ومنها أخلاقية، كالحاسد والمحسود، وذمّ الكتّاب ومنها عملية أو اقتصادية كرسالته في الخراج ورسالته في الكيمياء الخ ....

وهناك رسائل كثيرة نسبت إلى الجاحظ، لكنّ نسبت إلى الجاحظ، لكن نسبتها تثير بعض الشك، ككتاب التاج مثلاً. وكان من الشائع

في ذلك الزمانأن ينسب كتاب ما إلى أديب معروف قصد ترويجه، وقد لجأ الجاحظ نفسه إلى هذه الطريقة في أوّل عهده الكتابيّ.

ب. ثقـــافته

منذ عهد المنصور بدئ نقل بعض الآثار الفكرية اليونانية إلى العربية. وبلغت حركة الترجمة أوجها في عصر المأمون. وقد أنشأ هذه الخليفة، صديق الفكر والمفكرين، بيت الحكمة في بغداد، وجعل له مكتبة ومرصدًا. إلا أن نقل بعض وجوه التراث اليوناني إلى العربية لم يجر، لا رأسًا، ولا بدقّة، بل عن طريق السريانية.[٤١] وبتصرف ومن هنا كان التشويش في المعنى، بل التناقض أحيانًا بين الأصل والمنقول.[٤٢]

وقد أثارت الفلسفة اليونانية رغبة الناس في استقصاء الحقيقة والاستفاضة في العلوم، فوُضعت الكتب في الرياضيات والفلك والفلسفة والطب، وأخذت تتقلّص الخرافات والأساطير الكثيرة الشائعة والمسيطرة على الأذهان.

لم تقصر الترجمة على التراث اليوناني وحده، بل شملت الثقافات الهندية والفارسية والرومانية وسائر الثقافات المعروفة في ذلك العهد، فانفسح أمام الكاتب العربي مجال رحب للثقف قبل النتاج، وكان من قبل يصرف جلّ اهتمامه إلى النحو واللغة والبيان والإرشاد.

---

٤١ كان أشهر المرتجمين من آل بختيشوع وآل حنين وآل نوبخت

٤٢ هم المدارس التي نقلت إلى السريانية كانت في جنديسابور والرها وحرّان

كان من الطبيعي أن تؤثر الفلسفة اليونانية، القائمة على المنطق والتحليل، في توجيه الفقهاء نحو إعادة النظر في الشؤون الدينية على ضوء العقل السليم.

١. المجتمع العباسي في نظر الجاحظ

نظر الجاحظ إلى المجتمع[٤٣] نظرة ثائر على وضعه الإنساني، ومعتزلي مُفعم (بأصول) مذهبه، ومدافع حازم عن أسياده الخلفاء، وأديب توخي التوجيه والنقد بقدر ما توخي الوصف المجرّد والتراويح عن النفس. ماقصد قطّ أن يصلح مجتمع عصره ذهبًا من المؤسسات والقوانين، ولا أن يدرس الظاهرات الاجتماعية ليستخرج منها مذهبًا اجتماعيًا معينًا، بل كنقّادة شديد الفراسة سليم الذوق، كان جلّ همّه أن يسرّح أنظاره الفصاحة في كل وسط وكل مضمار.

لقد شاء أن يلتبي حاجة فنية في نفسه، فوصف معاصريه كما رآهم أو كما توضحوا له، بقدر ما شاء أن يهزأ بعيوبهم رغبة منه في إثارة الضحك. رام أن يرشد الناس، بشيء من الخبث، إلى ما يؤدي إليه انحرافهم من الاحتقار، وأن يروي حقده المكبوت، ذلك الحقد الذي يكنّه ابن الشعب الكادح لمستثمريه، وأن يخدم فكرة دينية أو أساسية عزيزة عليه قد تجر عليه مغنمًا وجاهًا. إلا أنّ كل هذا لا ينفي أن تكون له نظرات سديدة نثرها في مجموعة آثاره حول إصلاح المجتمع وعلم الاجتماع بوجه عام.

---

٤٣ انظر جميل جبر، الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد. بيروت: دار الصادر. دون سنة. ص:٢٥

كما رأينا وشرحنا قد سبق ،أنّ الجاحظ عاش في النصف الأخير من القرن الهجري الثاني، وفي النصف الأول من القرن الثالث أي في دروة الخلافة العباسية. وقد امتدّ سلطان أصحابها حتى إلى بلاد الهند، فجعلوا من بغداد القرية الصغيرة الحالة على ضفاف دجلة، عاصمة تزهو بقصور شامخة قامت على أنقاض صروح كسرى[٤٤].

٢. نفوذ الأعاجم

عم الترف في مدينة الرشيد نتيجة للبحبوحة الاقتصادية، واتّبع الخلفاء الطريقة الفارسية في العيش والحكم والهندسة. فإذا موائدهم تُعدّ على أفخر ما كانت تُعدّ عليه موائد أسياد فارس. وإذا مجالسهم تّفرش وتُـــزيّن على طراز مجالسهم، وإذا دواوينهم تُغصّ بالوزراء. والمستشاريين والكتّاب والحجّاب على أحسن ما عرفه كسرى أنوشروان.

إن الحذر من ردّة فعل الأمويين وأنصارهم دفع بني العباس إلى الاعتماد على الفرس أولا، ثم على الأتراك في شؤونهم الخطيرة. فكان البرامكة أهمّ وزرائـــهم، وكان الخراسانيوون والترك نواة جيشهم، فقويتْ شوكة الأعجام وتغللتْ الشعوبية في كل حقل.

٤٤ المراجع نفسه: ص: ٢٠

٣. الحـــرية الفكرية

كان لهذا الاخطلاط المستمر بين الشعوب أثره الحاسم في خلق جو من الحـــرية الفكرية رحيب. فبعد أن كان هارون الرشيد، على سعة صدره، قد حرّم الجدال في أمور الدين، وهدّد بمعاقبة أهل علم الكلام. جاء المأمون فأطلق القول[٤٥] وقرّب رجال العلم والأدب والفنّ. كان هو نفسه يحتاج الفقهاء في مجلس ويسلّم بآرائهم إذا اقتنع بها. وقد أشار أبو عثمان إلى هذه النعمة الإنسانية عندما قال –في الحيوان– يستحث قرائح الكتّاب من معاصريه:

> ((وينبغي أن يكون سبيلنا لمن بعدنا كسبيل من كان قبلنا فينا، على أن قد وجدنا من العبرة أكثر مما وجدوا، كما أن من بعدنا يجد من العبر أكثر مما وجدنا، فما ينتظر العالـــِم بإظهار ما عنده؟ وما يمنع الناصر للحق من القيام بما يلزمه؟ وقد أمكن القول، وصلح الدهر، وخوى نجم التقية، وهبت ريح العلماء، وكسد العي والجهل، وقامت سوق البيان العلم))[٤٦].

---

٤٥ إلا أن إطلاقه القول لم يمنع من وضع (المحنة)، وهي أفظع عقاب عرفه الإسلام. وكان المأمون يفرضه على مخالفي رأيه في العتزال. انظر جميل جبر، الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد. بيروت: دار الصادر. دون سنة. ص:٢٠

٤٦ المرجع نفسه، ص: ٢٢

٤. المترجمون

كان لحركة الترجمة أثرها الخيّر في ازدهار الحضارة العباسية، إلا إن هذه الترجمة ما كانت تخلو أحيانًا من الشوائب. فالابهام في النصوص المترجمة كان شائعًا والتفسير السيء مألوفا مألوفًا. ومرد هذا إلى قلة التعابير التقنية في لغة الضاد بقدر ما مرده إلى الترجمة عن غير الأصل.[٤٧] أو إلى جهل بعض المترجمين.

وكان عدم وثوقه بالمترجمين يدفعه إلى الحط من شأنهم ودحض الأكاذيب التي يلجان إليها لتبرير مواقفهم، وإلى فضح عوراتهم وخطل تأويلهم ونقلهم. وكثيرا ما وجد بينهم وبين البحارة أو الصيادين قرابة وثيقة من حيث المبالغة أو التلفيق في سرد الأخبار والأساطير.[٤٨]

في معرض نقد المترجمين يبدي الجاحظ ملاحظات قيّمة بصدد الترجمة وصعوباتها وتعذر وجود المترجم الأمثل: (إن الترجمان لا يؤدي أبدًا ما قال الحكيم على خصائص معانيه، وحقائق مذاهبه، ودقائق اختصارته، وخفيات حدوده، ولا يقدر أن يوفيها حقوقها، ويؤدي الأمانة فيها، ويقوم بما يلزم الوكيل ويجب على الجريء، وكيف يقدر على أدائها وتسليم معانيها، واستعمال تصاريف ألفاظها، وتأويلات مخارجها مثل مؤلف الكتاب وواضعه، فمتى كان رحمه الله تعالى ابن المقفع مثل أرسطاطاليس ومتى كان خالد مثل أفلاطون؟

---

[٤٧] كانوا يترجمون غالبا من السريانية إلى العربية. والترجمة السريانية مأخوذة بدورها عن اليونانية

[٤٨] الحيوان، ج ٦، ص ١٩ و ص ٢٨٠

ولابد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن عمله في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها، حتى يكون فيها سواء وغاية، ومتى جدناه أيضا قد تكلم بلسانين علمنا أنه قد أدخل الضيم عليهما، لأن كل واحد من اللغتين تجذب الأخرى، وتأخذ منها، وتعترض عليها، وكيف يكون تمكن اللسان منهما مجتمين فيه كتمكته إذا انفرد بالواحدة، وإنما له قوة واحدة، فإن تكلم بلغة واحدة استفرغت تلك القوة عليهما، وكذلك إن تكلم بأكثر من لغتين، على حساب ذلك تكون الترجمة لجميع اللغات، وكلما كان الباب من العلم أعسر وأضيق والعلماء به أقل كان أشد على المترجم، وأجدر أن يخطئ فيه، ولن تجد البتة مترجمًا يفي بواحد من هؤلاء، هذا قولنا في كتب الهندسة والتنجيم والحساب واللحون، فكيف لو كانت هذه الكتب كتب دين ...)[٤٩].

وهذا الحكم الصارم في الظاهر لا يخلو من الموضوعية، وذلك لأن تعلم اللغات في ذلك العهد ما كان عميق الجذور فلذا كانت تقع أخطاء جسيمة وحتى تأويلات معاكسات للمعنى المقصود.

وكان يزيد هذه أساء الفلاسفة العرب الأولون فهم آثار اليونان الفلسفية فعزوا إلى أرسطو بعض كتب أفلاطين وبروكلوس، لكن الجاحظ كان حازمًا في نفيه إمكان النقل الأمين، فكأنه لم يكن شديد التفاؤل بنتيجة التقدم في علم اللغات.

[٤٩] الحيوان، ج ١، ص ٣٨

٥. أهل الكتّـــاب

كان لأهل الكتاب، ولاسيما النصارى، حرمة خاصة عند المسلمين. وأحسب أن هذا مردّه للمُلك الذي قام للمسيحين قبل الإسلام، ولحسن الجوار فيما بينهم.

وكان النصارى لبعد ديارهم من مبعث النّبي ص. ومهاجره، لايكلّفون طعناً، ولا يثـــيرون كيداً، ولايجمعون على حرب، فكان هذا أول أسباب ما غلّظ القلوب على اليهود وليّنها على النصارى.

بفضل هذه الحرمة تمكن النصارى من تولّي المناصب الخطيرة في الدولة العباسية في عهد المأمون. لكن نفوذهم بلغ من الاتساع حدّاً أصبح معه يتهدد الأسلام، فكانت من المتوكل انتفاضه عنيفة هيأ الجاحظ لها الطريق برسالة الشهيرة- الرد على النصارى.

ت. المعتزلة

كان الجاحظ عالماً معروفاً من أعلام الاعتزال، وإليه تنسب الفرقة المعتـــزلية التي عُرفت به حيث يطلق عليها اسم (الجاحظية)، وهي فرقة انفرد بها الجاحظ عن فرقة المعتزلة الأخرى ببعض الآراء[٥٠]. من ثمار تحكيم العقل في قضايا الدين كانت المعتزلة.[٥١] وهي طائفة تقول بقدم الله، وتنفي الصفات

---

٥٠ انظر فالح الربيعي، تاريخ المعترلة فكرهم وعقائدهم (دراسة في اسهامات المعتزلة في الأدب العربي). دار الثقافية للنشر. ص: ١٠٨

٥١ ظهرت في أوائل القرن الثاني الهجري حول حلقة الحسن البصري على يد واصل بن عطاء

القديمة أصلاً، وتحدد الله بأنه عالم بذاته، قادر بذاته، حي بذاته لا بعلم وقدرة وحياة،[٥٢] واتفق أصحابها على أن كلام الله محدث مخلوق في محل، وهو حرف وصوت وعلى أن الإنسان قادر، خالق لأفعاله ومسؤول عنها.

سمّيتْ المعتزلة باعتزال قولهم بالمنزلة بين المنزلتين أي هو أن الفاسق المرتكب للكبائر ليس بمؤمن ولا كافر با يسمى فاسقا على حسب ما ورد التوفيق بتسميته وأجمع أهل الصلاة على فسوقه، بهذا سمّيتْ المعتزلة وهي الاعتزال. وهو الموصوف بالاسماء والأحكام مع ما تقدّم من الوعيد في الفاسق من الخلود في النار[٥٣].

والمعتزلة طبقات ولكل منها، في نظر الجاحظ، شأن خطير. وقد قال عنهم: (لولا مكان المتكلمين لهلكت العوام من جميع الأمم، ولولا مكان المعتزلة لهلكت العوام من جميع النحل).

غير أن أبا عثمان أن اتفق مع سائر طبقات المعتزلة، في شؤون كثيرة، فقد انفرد بعدة أمور: منها قوله أن المعارف كلها ضرورة طباع وليس للعباد كسب سوى الإرادة ومنها إنكاره كون الإرادة جنسيًا من الأعراض.

وقد انتشرت المعتزلة انتشارًا كاساحًا أيام خلاقه المأمون حتى غدت المذهب الرسمي واستمرت كذلك إلى أن جاء المتوكل فضربها ضربة عنيفة.

---

٥٢ انظر الملل والنحل للشهرستاني، ص ٥٥

٥٣ انظر فالح الربيعي، تاريخ المعترلة فكرهم وعقائدهم (دراسة في اسهامات المعتزلة في الأدب العربي). دار الثقافية للنشر. ص: ١٩

لا يمكن لأحد أن ينكر أثر المعتزلة ودورهم اللإجابي الفاعل في تحرير الفكر الإسلامي من حالة الجمود على النصّ، واتباع الأساليب التقليدية في النقاش والحوار، والاكتفاء بالنصوص القرآنـــــية والأحاديث وحدها في الردّ على معارضي الفكر الإسلامي من مشككين، وزنادقة وملاحدة، وأصحاب الديانات والمعتقدات الأخرى الغربية عن روح الدين الإسلامي ومبادئه. والذين كان المجتمع الإسلامي يعج بهم أثناء فترة الحكم العباسي نتيجة لاخطلاط المجتمع الإسلامي بعناصر عديدة من الأمم والشعوب الأخرى التي حملتْ معها معتقداتها ومبادئها وأفكارها ونشاط الحركة الترجمة من تراث تلك الأمم والشعوب.

وإلى ذلك لم يكن التفكير السني السلفي وحده كافياً بأساليبه التقليدية، وبنزعته الميالية إلى التهرب من الجدل والحوار ولاستعانة بالأساليب العقلية والمنطقية والفلسفية التي دخلت المجتمع الإسلامي من الثقافة والحضارة الأخرى[٥٤].

قد سبق شرحنا أن أبو عثمان عاش في العصر العباسي الأول وشطرًا من العباسي الثاني فقد عاصر من خلافاء بني العباس فهم الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم و الواثق والمتوكل[٥٥].

---

٥٤ المرجع نفسه، ص، ٢٠

٥٥ فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية. ٢٠٠٥. ص: ١٣

فصادف المذهب الاعتـــزالي القائم على العقل والفلسفة والجدل والمناظرة هوى في نفس الخليفة العباسي المأمون الذي كان شغوفا بالفلسفة، محبا للمجادلات والمناظرات ممجداً للعقل ومثل هذا الطابق بين وجهات نظره وميولة بين أفكار المعتزلة ومبادئهم دفعه إلى أن لايتردد في اعتناق مذهبهم وتبني آرائهم والتحمس في الدفاع عنها، وجعلها المذهب الرسمي للدولة. وتأتي عقيدة القول بخلق القرآن في مقدمة العقائد التي أمن بها المأمون وتحمس الدفاع عنها وحرص على فرضها على جميع القضاة والفقهاء إلى درجة أنه أنشأ مجلسا قضائياً عرف باسم "ديوان المحنـــة" لكي ينتـــزع موافقة رجال الدين والقضاء والقانون على القول بخلق القرآن، ومن كان يعارض ذاك يجلد ويهدد بالسيف[٥٦].

ومن الممكن أن نكون صورة واضحة في أذهاننـــا عن مدى تحمس المـــأمون لآراء المعتزلة وخصوصا فيما يتعلّق بعقيدة خلق القرآن من خلال الاطلاع على الكتاب المسهب الذي وجهه المـــأمون إلى رئيس شرطته في بغداد بشأن تبرير تشدده وحرصه على أن يأخذ المسلمون عامتهم بهذه العقيدة.

هذا التحمس من قبل المـــأمون للدفاع عن آراء المعتزلة وتبني أصولهم ومبادئهم ومحاولة فرضها على الرعية، يدلنا على مبلغ النفوذ الذي حظى به المعتزلة في عصره فلقد حظوا بالمنازل الرفيعة في بلاطه، ووضع المـــأمون

---

٥٦ انظر فالح الربيعي، تاريخ المعترلة فكرهم وعقائدهم. دار الثقافية للنشر. ص: ٢٧ و انظر أيضا نبيلة حسن محمد، تاريخ الدولة العباسية، اســـكندرية: درا المعارف الجامعية، ص: ١٩٣

نفسه موضع التلميذ المتلقي من علمائهم مثل أبي الهذيل العلاق وثمامة بن أشرس[٥٧].

٥٧ المرجع نفسه، ص: ٢٩

الباب الثالث

اللفظ والمعنى عند الجاحظ

تتكون الكلمة أو أية وحدة لغوية تكبرها من جانبين أساسيين مهمين لا ينفصل أحدهما عن الآخر هما اللفظ والمعنى. فقد سبق شرحنا أنّ من أهم القضايا التي أثيرت في تاريخ الأدب العربي قضية اللفظ والمعنى والمفاضلة بينهما، وأول من أثارها الجاحظ بتفضيله اللفظ على المعنى. فأيضا من أهم القضايا التي تشغل بال الكثيرون من الكاتبين والمؤلفين على اختلاف ثقافاتهم وبيئتهم، فنقاد الأدب والبلاغيون، وفلاسفة الجمال وعلماء النفس، كل هؤلاء يهتمون بهذه القضية اهتما كبيرا، حتى الأقدمون شغلوا بها قبل أن يعالجها العرب، وهؤلاء وأولئك تحدثوا عن المعايير الجمالية الموضوعية التي تعد من أسس الحكم على العمل الأدبي من الناحية الفنية، ويحثوا عن العناصر الأساسية والخصائص التي تتميز بها الأعمال الأدبية، ولا تزال هذه المشكلة

تشغل بال المعاصرين من نقاد العرب، مع أن نقاد العرب وبلاغييهم قتلوها بحثا في تلك العصور البعيدة[٥٨].

فعلا لقد اهتم الجاحظ أيضا كما فعل من سبقوه من روّاد البحث البياني وكما سيفعل من سيأتون بعده[٥٩]. فسنبدأ الباحث من حيث تعريفهما عموما أكان خالة عند الجاحظ.

أ. مفهوم اللفظ والمعنى

١. تعريف اللفظ

اللفظ هو الحامل المادي والمقابل الحسّي المنطوق للمعنى الذي هو فكرة ذهنية مجردة، وأهم ما يميزه أنه منطوق، وهذا ما أكد عليه أغلب النحاة في تعريفاتهم، فسيبويه يقصد باللفظ العلامة الإعرابية أو الإعراب[٦٠]. وعرّف ابن مالك الكلمة بأنها "لفظ مستقل دال بالوضع تحقيقا أو تقديرا ... والمراد هنا بالمستقل ما ليس بعض اسم كياء زيد، وتاء مسلمة، ولا بعض فعل كهمزة أعلم، وألف ضارب. فإن كل واحد من هذه المذكورات لفظ دال بالوضع

---

[٥٨] فوزي السيد عبد ربه. المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيانو التبيين. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية. ٢٠٠٥. ص: ١٩٠

[٥٩] محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. ١٩٩٠. ص: ٢٤

[٦٠] انظر الأعلم الشنتمري. النكت في التفسير كتاب سيبويه، تحقيق رشيد بلحبيب.المغرب: وزارة الأوقاف. ١٩٩٩. ج ١، ص: ٢٠٠

وليس بكلمة لكونه غير مستقل[٦١]. وإطلاق اللفظ على الكلمة هنا إنما هو من باب إطلاق المصدر على المفعول به.

وقال الشيخ خالد الأزهري أنّ اللفظ في الأصل مصدر لفظت الرحى الدقيق إذا رمته إلى الخارج، والمراد باللفظ هنا أي في اصطلاح النحويين الملفوظ به وهو الصوت من الفم المشتمل على بعض الحروف الهجائية تحقيقا كزيد، أو تقديرا كألفاظ الضمائر المستترة، وسمي الصوت لفظا لكونه يحدث بسبب رمي الهواء من داخل الرئة إلى خارجها، إطلاقا لاسم السبب على المسبب[٦٢]. فعند السيوطي أن اللفظ هو ما خرج من الفم إن لم يشتمل على حرف فصوت، وإن اشتمل على حرف و لم يفد معنى فقول، فإن كان مفردا فكلمة، أو مركبا من اثنين و لم يفد نسبة مقصودة لذاتها فجملة، أو أفاد ذلك فكلام، أو من ثلاثة فكلم[٦٣].

وأتى به أيضا أبو البقاء الكفوي أنّ اللفظ هو في اللغة مصدر بمعنى الرمي، وهو بمعنى المفعول، فيتناول ما لم يكن صوتا، وما هو حرف واحد وأكثر مهملا أو مستعملا، صادرا من الفم أولا، لكن خص في عرف اللغة بما صدر من الفم من الصوت المعتمد على المخرج حرفا واحدا أو أكثر، مهملا

---

٦١ ابن مالك. شرح التسهيل، تحقيق عبد الرحمان محمد بدوى المختون. ، القاهرة: دار هجر. ١٩٩٠، ج١، ص: ٣-٤

٦٢ الشيخ خالد الأزهري. شرح التصريح على التوضيح. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، فيصل الحلبي، دت، ج.١ ص :١٩-٢٠

٦٣ انظر السيوطي. الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق عبد العال سالم مكرم. ، بيروت: مؤسسة الرسالة. ١٩٨٥. ج:٣، ص:٥

أو مستعملا، فلا يقال لفظ الله، بل يقال كلمة الله. وفي اصطلاح النحاة ما من شأنه أن يصدر من الفم من الحرف، واحدا أو أكثر، أو تجري عليه أحكامه كالعطف والإبدال، فيندرج فيه حينئذ كلمات الله، وكذا الضمائر التي يجب استتارها. وهذا المعنى أعم من الأول. وأحسن تعاريفه على ما قيل: صوت معتمد على مقطع، حقيقة أو حكما، فالأول كزيد، والثاني كالضمير المستتر في (قم) المقدر بأنت[٦٤].

جاء في الصحاح أولاً الدلالة العامة للمادة (لفظ) وهي (الرمي من الفم): لفظت الشيء من فمي ألفظه لفظاً، رميته ثم يعدّد الدلالة المخصصة اذ يكون الملفوظ من الفم كلاماً: لفظت بالكلام وتلفظت به اي تكلمت به، وبعدها يعين المفردة بانها « اللفظ جمعها الالفاظ» اما ابن فارس في المقاييس فهويقول ان مادة لفظ تعني اولاً الدلالة علي الطرح المطلق، ثم هي يغلب عليها ان تكون من الفم ثم يخصص الفعل، فتقول: « لفظ الكلام يلفظ لفظاً» وبعدها يورد واحداً من المشتقات، وما يحتمله من دلالات «اللافظة: فهوالديك (لصوته وللرحى لطرح الحبوب المطحونة) والبحر ((لاخراجه أشياء كثيرة من جوفه)).

وياتي الأزهري بدلالة الرمي من الفم علي إنها الأولى فاللفظ هوان ترمي بشيء كان في فيك، والفعل لفظ يلفظ لفظاً، ثم يخصّص المادة بالكلمات واللفظ للفظ الكلام. بعد ذلك يورد عبارة كنائية هي (لفظ فلان

---

٦٤ أبو البقاء الكفوي. الكليات، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري. بيروت: مؤسسة الرسالة. ١٩٩٣. ص: ٧٩٥.

عصبه) إذا مات وعصبه؛ ريقه الذي عصب بفيه أي غرى به فيبس. يظهر لنا من خلال ما مرت في بيان اللفظ أنه أيسرُ شيء للتعبير عما في صدر الإنسان من المعاني والاغراض ومثل اللفظ عندنا مثل مركب يسير براكبه للوصول إلى المقصد المنشود وتزيد أهمية اللفظ عند ما نتذكر بأنّ المتكلم بامكانه أن يستخدم عدة أنواع من التعابير لمطلب واحد أوعدة مطالب في تعبير واحد. فإذن علينا أن نأخذ اللفظ وملابساته ودراسته بعين الاعتبار[٦٥].

ونلاحظ من خلال هذه التعريفات أنها تتفق في مفهوم عام ثابت للفظ وهو انحصاره في المنطوق أو الملفوظ، كما أن مصطلح اللفظ يتصل بمصطلحات أخرى تحيط به وهي القول والكلم والجملة والكلام والكلمة.

٢. تعريف المعنى

فمصطلح المعنى هو من أكثر المصطلحات التي اختلف في تعريفها ويرجع ذلك إلى اختلاف اهتمامات الدارسين له وتعدد ميادين بحوثهم، بالإضافة إلى كثرة المصطلحات المستعملة في هذا المجال والمرتبطة به. وأمّا مصطلح المعنى في كلام النحويين لم يكن واحدا، ومن ذلك أنهم كانوا يقصدون به المعنى الصرفي، وأحيانا أخرى المعنى الدلالي بصفة عامة، وأحيانا ثالثة كانوا يقصدون به المعنى النحوي، أي وظيفة الكلمة في الجملة كالفاعلية والمفعولية والإضافة.

٦٥ انظرالأزهري. تهذيب اللغة. القاهرة: الدار المصرية العامة للتاليف والترجمة، ١٩٦٤م

والواضح أن جل حديثهم الصريح عن المعنى كان بهذا القصد، ومن هذا قول ابن جني عن الإعراب إنه الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنك إذا سمعت: أكرم سعيد أباه وشكر سعيدا أبوه، علمت برفع أحدها ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرجا واحدا لاستبهم أحدهما من صاحبه[٦٦]. ويتصل بحديث النحاة أيضا عن المعنى أننا نجد تقسيما مهما للدلالة عند ابن جني كذلك، يرى فيه أن الدلالات ثلاث: لفظية كدلالة (قام) بلفظه على مصدره، وصناعية كدلالة (قام) أيضا بصيغته على الزمن الماضي، ومعنوية كدلالة معنى هذا الفعل على ضرورة وجود فاعل له[٦٧]. وعليه أكّد جوهن ليون (*semantics is generally defined as the study of meaning.*). أي أن المعنى له صور كثيرة في وجوه التعريف[٦٨].

٣. دور تكوين المعنى

بالنظر إلى ما كوّن اللغة عند الدلاليين كما نقل إليه راحيونو[٦٩] هو:

أولاً: مواصلات الصوتي *(phonem)* في تكون الصرفي *(morfhem)*، وخرج منها المعنى النحوي.

---

٦٦ انظر ابن جني. الخصائص. تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب. ج: ١، ص:٣٦

٦٧ المرجع نفسه، ج:٣، ص:٣٦

٦٨ Lihat John Lyon. ***Language, Meaning & Context***. Sulfolk: Fontana Paperback. . 1989. hal. 1-2. dalam FX. Rahyono.***Studi Makna*** Jakarta: penaku. 2012. hal. 10

٦٩ المرجع نفسه. ص: ٣٧.

ثانيًا: مواصلات الصرفي (morfhem) في تكون اللفظ (word)، وخرج منها المعنى المعجمي.

ثالثاً: مواصلات اللفظ (word) في تكون الكلمة (sentences) وخرج منها المعنى الدلالي.

رابعاً: ومن هنا تكون الكلمة نطقاً خطابيّاً أي الخطاب بمعنى جزء من مصطلح دراسة اللغة.

وهكذا صورة من دور تكويين المعنى:

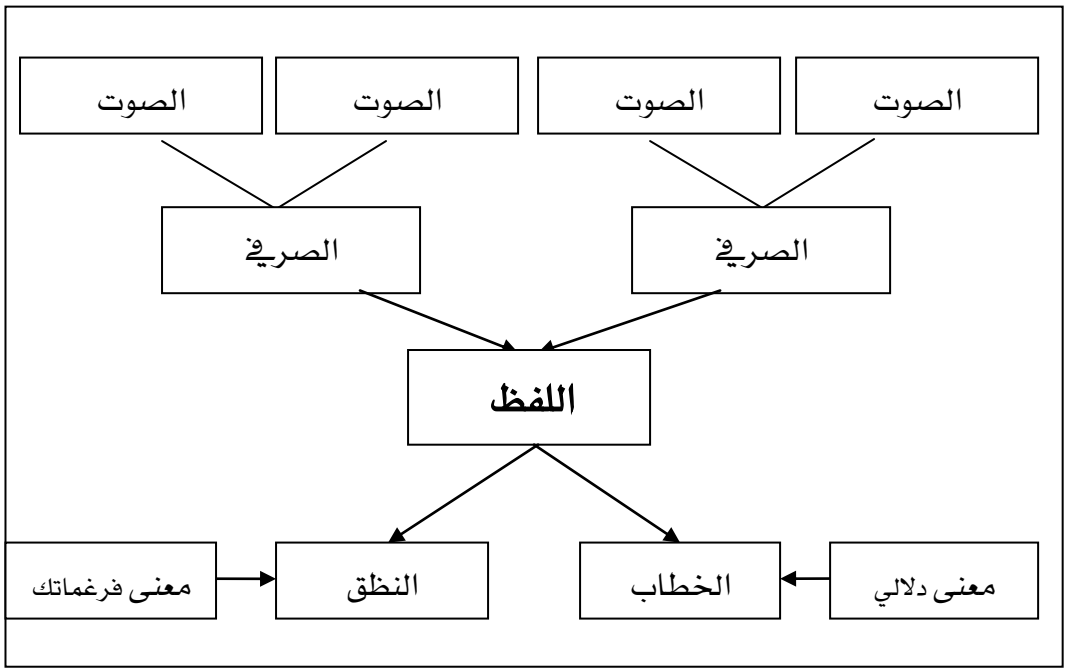

قضية اللفظ والمعنى ترتبط ارتباطا وثيقا بمعنى البلاغة، فإذا كانت البلاغة هي: مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحة أجزائه، فإن هذا المعنى اختلف في مرجعه، هل هو صفة ترجع إلى اللفظ والشكل والصياغة دون

المعنى، أم أنه صفة ترجع إلى المعنى بعض النظر عن الصورة والشكل؟. وقد انقسم نقاد العرب وبلاغيوهم، منذ العهود المتقدمة في هذه القضية إلى طوائف، فمنهم من ينظر إلى أن مقومات العمل الأدبي ترجع إلى جانب المعنى، مفضلا شأن اللفظ والصياغة، وآخرون أرجعوها إلى اللفظ، مهملين شأن المعانى ومنهم من سوى بين اللفظ والمعنى، وفريق منهم ينظر إلى الألفاظ من جهة دلالتهم على معانيها في نظم الكلام.

فقد كانت قضية اللفظ والمعنى من أهم المسائل التي أثارها، وقد أثارها للمرة الأولى في حياة التفكير الأدبي عند العرب، فقد فطن إلى هذه الفكرة، وأخذها عنه المشتغلون بالأدب والمهتمون بأركانه، على اختلافهم في الفهم وأسلوب النظر إلى الأدب، والاتجاه به اتجاها فنيا، أو اتجاها عقليا.

فمن القدماء الإمام عبد القاهر الجرجاني، فقد صرّح في كتابه "دلائل الإعجاز بقوله: إذا نظرت في كتب الجاحظ وجدته يبلغ في ذلك يعني في إهمال جانب المعانى والاهتمام بالصياغة والألفاظ – كل مبلغ، ويتشدد غاية التشدد، وقد انتهى في ذلك إلى أن جعل العلم بالمعنى مشتركا، وسوى فيه بين الخاصة والعامة، ثم قال : وذهب الشيخ إلى استحسان المعانى، وأنها مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والقروى والبدوى، وإنما الشعر صياغه، وسهولة المخرج وصحة الطبع وكثرة الماء وجودة السبك، وإنما الشعر صياغة، وضرب من التصوير. فقد تراه كيف أسقط أمر المعانى. وأبي أن يجيب لها فضل، فقال : وهي مطروحة في الطريق، فأعلمك أن فضل

الشعر بلفظه، لا بمعناه، وأنه إذا عدم الحسن في لفظه ونظمه لم يستحق هذا الاسم بالحقيقة".[٧٠]

فالإمام عبد القاهر يدافع عن المعانى، ناظرا إلى الجاحظ على أنه يفرط في أمرها، وينتصر للألفاظ ويعتد بها، وهذا الدفاع من عبد القاهر جعل كثيرا من الكاتبين ينظرون إليه على أنه من أنصار المعنى، وأنه يتزعم فريق المعنويين.

كما نجد من الكتاب المعاصرين من يذكر أن الجاحظ من أنصار اللفظ، وأنه يهمل جانب المعانى، فيصرح بأن أبا عمرو الشيباني كان من أنصار المعنى، الجاحظ على أبي عمرو الشيباني والذي سبق في كلامه رد الجاحظ على أبي عمرو الشيباني والذي سبق في كلام عبد القادر.[٧١]

فالجاحظ عند طائفة من المعاصرين، على رأس طائفة اللفظيين الذين يفقون وجها لوجه أمام المعنويين الذين على رأسهم عبد القاهر الجرجاني ، فيقال هؤلاء من شأن اللفظ، وأولئك من شأن المعنى.

ولعلّ هذه العبارة التي رد بها الجاحظ على أبي عمرو هي التي جعلت هؤلاء الكاتبين، وبخاصة المعاصرون منهم ينظرون إلى الجاحظ هذه النظرة. يقول صاحب النقد الأدبي الحديث: وقد عددنا الجاحظ على رأس القائلين بقصر الحسن على اللفظ، دون المعنى، فهو يصرح بأن شأن الكلام شأن التصوير والصياغة.[٧٢]

---

٧٠ دلائل الإعجاز ص: ١٧٦-١٧٧

٧١ انظر النقد الأدبي الحديث ص: ٢٤٦

٧٢ المرجع السابق ص ٢٥٣

ب- علاقـــــة اللفظ والمعنى

ونظرا لأهمية اللفظ والمعنى عموما وارتباطهما بكثير من العلوم ومجالات المعرفة الإنسانية، لم تقتصر دراستهما قديما وحديثا عند العرب وغيرهم على مجال اللغة وحده الذي يعد أكثر ميادين العلوم اهتماما بهما[٧٣].

العلاقة بين اللفظ والمعنى موضوع عريق تناولها العلماءُ منذ زمن بعيد، اِذ لانجدُ من العلماءِ القدامي أحداً ضَرَبَ سَهْماً في مجال اللغة أو البلاغة أو النقد إلاّ والعلاقة بين اللفظ والمعنى، كانت احدى اغراضه ومراميه.

يبدوان هذا الأمر يرجع إلى أهمية العلاقة بين اللفظ والمعنى في العلوم اللغوية والبلاغية. إن درسنا هذه العلاقة من منظار تاريخي نصل إلى اَنّ لارسطو وسقراط وأفلاطون من العلماء اليونانيين نظراتٍ تتعلق بهذه الظاهرة. وقد ناقشنا في هذا المقال آراء العلماء العرب القدامي وغيرهم من الهنود والسريان، واللغويين الغربيين المحدثين وعلماء العرب المحدثين.

فلقد قدر لمقاربة الجاحظ مشكلة اللفظ والمعنى، والنظم، أن تحوي أغلب البذور التي استثمرتها المحاولات التالية، إذ إن الحاحه على ضرورة تحقيق تطابقهما. ووعيه الحاد بلحمة عناصر النص في الخطاب الشعري خاصة وتشكلها في نسيج متماسك، بالإضافة إلى ما أرهص به في بحث نظم القرآن وحسن تأليفه وتركيبه من الماحات، شكلت محاور الاستقصاء المتجدد مع كل دورة نقدية فاحصة للأشكال.

---

٧٣ انظر جون لايتز. اللغة والمعنى والسياق، ترجمة عباس صادق الوهاب. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.١٩٨٧. ص: ١٦

أما شأن هذه المسألة عند الجاحظ، فإننا نراه قد أفرد بلاغة النثر بقسم من البيان والتبيين واستشهد عليها بأنواع النثر المتداولة في عصره حيث "أقام بذلك الدليل على أنه يعتبر النثر الفني ندا للشعر كفؤاً"[٧٤]، فإذا أدركنا أنه حاد الوعي بتفرد الشعر ببنية مخصوصة تجعله مستعصياً على الترجمة، أصبح بالإمكان الإقرار بأن حضور هذه الأنواع في بلاغته سيطبع تصوره لمشكلة اللفظ والمعنى، والبنية العامة بطابع التداخل، أو ازدواجية النظرة وسيغلب هيمنة نوع أو نوعين في استخلاص مفاهيم هذا المستوى أو ذاك، فحديث الجاحظ عن البنية العامة الذي ينحصر بين درسه النظم وإلحاحه على تلاحم الأجزاء وحسن الوصف نابع من استقراء بنية النص القرآني والشعر أساساً.

هذا الإطار العام مكّن الجاحظ من تحقيق الوعي بمرتبتي الكلام: العادي والأدبي والفصل بينهما، ذلك أنه يرى أن "كلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات، فمن الكلام الجزل والسخيف والمليح والحسن، والقبيح والسمج، والخفيف والثقيل، وكله عربي وبكل قد تكلموا، وبكل قد تمادحوا وتعايبوا". هذه المساحة العامة للكلام الواقعة بين قطبي السخيف السوقي الصادر عن طبقة العامة دون شك والمليح الحسن الذي يكون محصلة الصنعة والاعتناء الذي يضعه أهل القول البليغ، تتحدد بخواص في الكلام ذاته، ذلك أن "العامة ربما استخفت أقل اللغتين أو أضعفهما، وتستعمل ما هو أقل في أصل اللغة استعمالاً وتدع ما هو أظهر وأكثر"، في حين يكون البصر

---

٧٤ انظر البديع في نقد الشعر: ٢٨٩. ومقدمة في صناعة النظم والنثر: ٢٨ في: الأخضر جمعي. اللفظ والمعنى في التفكير النقدي والبلاغي عند العرب. دمشق: اتحاد الكتاب العرب. ٢٠٠٥. ص: ٤٢

بجوهر الكلام البليغ عند رواة الكتاب أعم، وعلى ألسنة حذاق الشعراء أظهر، هذا الجوهر المتحقق بالاعتماد على الألفاظ المتخيرة والمعاني المنتخبة وعلى "الألفاظ العذبة والمخارج السهلة، والديباجية الكريمة، وعلى الطبع المتمكن وعلى السبك الجيد، وعلى كل كلام لـــه ماء ورونق، وعلى المعاني التي إذا صارت في الصدور عمرتها وأصلحتها من الفساد القديم، وفتحت للسان باب البلاغة ودلّت الأقلام على مدافن الألفاظ، وأشارت إلى حِسان المعاني"[٧٥].

والواقع أن الجاحظ إذا كان قد اهتم بجانب اللفظ إلا أنه لم يهمل جانب المعنى، فاللفظ عنده له شأنه في تقويم الأدب، وللمعنى أيضا أثره الذي لا يجحد على روعة هذا الأدب وجماله، ولعل الذي جعله يصرح بهذا الكلام الذي جعل الكاتبين ينظرون إليه على أنه من أنصار اللفظ هو مارآه في عصره من العناية الزائدة والاهتمام بالكثير من المحسنات البديعية والاكثار منها، وجرى كثير من الشعراء والكتاب وراءها، تاركين العبارة الفخمة واللفظ المعبر، والأسلوب المطبوع الرصيين، وطغيان ذلك على الأدب، هذا من ناحية، ومن ناحية مارآه من الكثيرين من نقاد الأدب والمشتغلين به من اهتمامهم بالمعانى على إطلاقها والإشادة بها، دون نظر إلى الألفاظ، وإهمالهم لها إهمالا كليا، فأراد أن يبين أن الألفاظ والصياغة لها شأنها، ولا بد من مراعاتها والاهتمام بها، كما يهتم بجانب المعانى، وأن يكون هذا الاهتمام بحيث لا يطغى على الصياغة اللفظية التي يفسد طغيانها على اللفظ والمعنى جميعا، ويهوي بالأدب إلى الحضيض.

---

[٧٥] المرجع نفسه. ص: ٤٢

وفضلا عن هذه العبارة التي أوقعت الجاحظ في هذا الاهتمام في نظر هؤلاء، فقد وردت عبارات أخرى قديفهم منها مع عدم التأمل انتصاره للألفاظ وأطراح المعانى كلية.

فقد افتح باب البيان بذكر الألفاظ، وأبان عن فضلها في تأدية المعنى، فنقل عن بعض جهابذة الألفاظ ونقاد المعانى أن المعانى القائمة في صدور الناس المنصورة في أذهانهم مستورة وحشية. لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه،ولاحاجة أخية وخليطه. وإنما يحي تلك المعانى ذكرهم لها، وإخبارهم عنها واستعمالهم إياها، وهذه الخصال هي التي تقربها من الفهم، وتجليها للعقل[٧٦].

وقد يظن البعض من هذه العبارة أنه يجعل المعانى القائمة في صدور الناس لاقيمة لها دون أن تلبس ثوبها عن طريق الألفاظ، فهي التي تخرجها من الصدور وتجليها للعقل، وبالكلام أرسل الله أنبياءه، لا بالصمت[٧٧]. وقال أيضا في باب البيان: اعلم حفظك الله أن حكم الألفاظ خلاف حكم المعانى: لأن المعانى مبسوطة إلى غير غاية، ومتددة إلى غير نهاية، وأسماء المعانى يعني الألفاظ مقصورة معدودة، ومحصلة محدودة.[٧٨]

وقد عاب الجاحظ على أبي عمرو الشيباني استجادته لبيتين من أشعار المولدين وقد سبقت الإشارة إلى هذا وهما:

---

[٧٦] أبي عثمان بن عمر بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين (الطبعة السابعة). القاهرة: مطبع مداني. ١٩٩٨. ج:١، ص: ٧٥

[٧٧] المرجع السابق ١/٢٧٢

[٧٨] المرجع السابق ١/٧٢

لا تحسبن الموت موت البلى وإنما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت، ولكن ذاأشد من ذلك على كل حال

حيث كلف رجلا أحضر قرطاسا ودوات وكتبهما،[٧٩]. وكان إعجاب أبي عمرو بهذين البيتين لما اشتملا عليه من جليل المعنى، دون نظر إلى لفظهما.

فقال الجاحظ معلقا على صنيع أبي عمرو الشيباني : ولقد رأيت أبا عمرو يكتب أشعارا من أفواه جلسائه، ليدخلها في باب التحفظ والتذاكر، وربما خيل إلى أن أبناء أولئك الشعراء لا يستطيعون أبدا أن يقولوا شعرا جيدا، لمكان أعراقهم من أولئك ما سمعت من أبي عبيدة، ومن هو أبعد في وهمك من أبي عبيدة[٨٠].

ففي معنى الصبر على الفقر وانتظار الفرج يروي قول على بن أبي طالب رضي الله عنه:

من أفضل العبادة الصمت وانتظار الفرج، وقول الشاعر:

إذا تضايق أمر فانتظار فرجافأضيق الأمر أدناه من الفرج

وقول أعربي:

---

[٧٩] انظر دلائل الإعجاز ص ١٧٦

[٨٠] البيان والتبيين ٤/٢٤

تبصرني بالعيش عرسى كأنماتبصرني الأمر الذي أنا جاهله
يعيش الفتى بالفقر يوما وبالغنىوكل كأن لم يلق حين يزايله[٨١]

فالمعنى واحد في هذه الأقوال، ولكنها تفاضلت من جهة تأدية هذا المعنى بالألفاظ، التي جاء بعضها منتخبا رائقا، وبعضها أقل في باب الحسن والجودة.

ومثل هذه الموازنات كثيرة في كتابه، وهو وإن لم يعلق عليها إلا أن بعضهم قد يفهم منها أنه يدلل على أن المعانى لا قيمة لها، ولو كان لها قيمة لما اختلفت مقادير هذا الكلام، حيث المعنى واحد، والتفاوت إنما كان لتفاوت الألفاظ، والتعبير عن ذلك المعنى.

وإذا كان للجاحظ هذه العبارات التي أوحت بهذا الفهم، فإن الواقع الذي لإمراء فيه أنه لم يهمل جانب المعنى كلية، ولكنه تعرض كثيرا للمعانى، وأبرز فضلها، وأهميتها في تقويم الأدب، بل إنه عقد كثيرا من الموازنات بين المعانى وتفاضلها، وذكر أن منها الشريف الكريم، ومنها البديع العجيب، وفي كل تنازع الشعراء ةالأدباء، وادعى أنه مبدعها ومخترعها.

فنراه يقرر أن أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه، وتقوى قائله، فإذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا،

[٨١] المرجع السابق ٢/٣٥٠

وكان صحيح الطبع بعيدا عن الاستكراه، ومترها عن الاختلال مصونا عن التكلف، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربية الكريمة[٨٢].

فهو يسوى بين اللفظ والمعنى في التأثير على قلوب السامعين، بل أكثر من هذا يجعل المعنى هو الأصل وصاحب الحق، واللفظ خادم له، فيقول : ومن علم خق المعنى أن يكون الاسم له طبقا، وتلك الحال له وفقا، ويكون الاسم له لافاضلا ولا مفضلا، ولا مقصرا ولا مشتركا ولا مضمنا، ويكون مع ذلك ذاكر لما عقد عليه أول كلامه، ويكون تصفحه لمصادره في وزن تصفحه لموارده[٨٣].

فالمعنى يأتي أولا ثم يطلب له اللفظ الذي يناسبه ويؤديه، وأيضا فإن المعانى عنده بحر لا يستطيع الوصول إلى أعماقه إلا السباح الماهر، فيذكر أن أحمد بن المعذل بن غيلان كان يذهب مذهب مالك رحمه الله وكان ذا بيان وتبحر في المعانى وتصرف في الألفاظ.[٨٤] والأدب عند الجاحظ لا يبلغ الجودة، ولا يصيب المحز بلفظه فقط، فإذا كان الأديب لفظه حسنا ومعناه رديئا فلا قيمة له عنده. فأما الكلام كما صرح بذلك لا يكون يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه في طبقة لفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك[٨٥].

---

[٨٢] البيان والتبيين ج ١: ص٨٣

[٨٣] المرجع السابق ج ١: ص٩٢-٩٣

[٨٤] المرجع السابق ج ١: ص١٠٣

[٨٥] المرجع السابق ج ١: ص ١١٥

ومن الثابت أن اللفظ والمعنى كلاهما ركنا الأدب، وهما معا مناط التأثير في النفوس والقلوب، وتتبعنا للجاحظ في كتابه يجعلنا نؤكد أن كلامه في النهاية يؤول إلى هذه الفكرة.

فهم لم يفرق بين اللفظ والمعنى في التأثير على النفوس، سواء كان هذا التأثير حسنا أو سيئا، فنراه لايغفل ماتحدثه الألفاظ أو المعنى على حد سواء من أثر سيئ في القلوب، إذا جائت المعانى سخيفة أو الألفاظ قبيحة. فيقرر أن "سخيف الألفاظ مشاكل لسخيف المعانى، وقد يحتاج إلى السخيففي بعض المواضع وربما أمتع بأكثر من إمتاع الجزل الفخم من الألفاظ، والشريف الكريم من المعانى"[٨٦].

فنراه يعدد من صفات المعانى: الشريف والكريم والنبيه، وسرعة الدخول في القلب، وغيرها من الصفات التي تدل على أنه يفرق بين المعانى، وليست كلها على درجة واحدة يشترك فيها الخاصة والعامة، ولو كانت كذلك لم تكن هناك فائدة لهذه الصفات.

وإذا كانت الألفاظ صورا وأشكالا وأثوابا، فالمعنى عنده جواهر، وجوار، تطلب وتقبل النفس عليها.

فينقل عن بعض الربانيين من الأدباء أن المعانى إذا كسبت الألفاظ الكريمة، وألبست الأوصاف الرفيعة تحولت في العيون عن مقادير صورها، وأربت على حقائق أقدارها بقدر ما زينت، وحسب ما زخرفت، فقد

---

[٨٦] البيان والتبيين ١/١٤٥

صارت الألفاظ في معانى المعارض، و صارت المعانى في معنى الجواري، والقلب ضعيف وسلطان الهوى قوى، ومدخل خدع الشيطان خفي.[٨٧]

وهناك غير ذلك الكثير من النصوص التي تناثرت في كتابه، والتي تدل صراحة على أنه لا يفرق بين اللفظ والمعنى في ذلك الأثر الفني الذي يحدثه المعنى، بل إن بعض هذه النصوص تشيد بالمعنى وتبرز أثره.[٨٨]

وإذا كان فيما سبق من النصوص يبدو مناقضا، فمرة مع اللفظ وأخرى مع المعنى، فإن هذا التناقض يتلاشى إذا عرفنا وتذكرنا مذهبه في تصنيع الأدب، باختيار ألفاظه، وإحكام مبانيه، وجودة رصفه.

فصنعة الأدب عنده لها أثرها البعيد في خلود الأدب، وفي سهولة حفظه، وجرية على ألسنة الناس والرواة جيلا بعد جيول. ولولا هذه الصنعة لا ندثر الأدب، كما اندثر كثير من سائر الكلام المنثور، فلم يحفظ و لم يؤثر إلا ماكسته الصنعة.

ويرى الجاحظ مصدقا لذلك أنه "قيل لعبد الصمد بن عسى الرقاشى: لم تؤثر السجع على المنثور، وتلزم نفسك القوافي وإقامة الوزن؟ قال : إن كلامي أو كنت لا آمل فيه إلا سماع الشاهد لقل خلافي عليك، ولكني أريد الغائب والحاضر والراهن والغابر، فالحفظ إليه أسرع والآذان لسماعه أنشط، وهو أحق بالتقييد وبقلّة التفلت، وما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يحفظ من المنثور عشره، ولاضاع من

---

[٨٧] البيان والتبيين ١/١٤٥

[٨٨] انظر البيان والتبيين ١/١٨، ٣/٣٢٦، ٣٣٣/ ٢٤/٤، ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣١

الموزون عشره[٨٩]، وقد أوضحنا ذلك تفصيلا في فصل سابق. وهو إذ يهتم بتصنيعه الأدب، وتجويده، فإنه ينبّه -صراحة- إلى الدقة في اختيار المعاني، والتدقيق فيها.

بل إنه ينبه إلى غاية هذا التصنيع، وهي تحقيق المتعة الفنية في الأدب بما يحويه من الأسرار واللطائف، والمعاني التي التي هي فوق الألفاظ والمعاني جميعًا. فلا عبرة عنده باللفظ ما لم يحمل هذه الخصائص والأسرار.

ومن ثم فقد نعى على علماء النحو اهمامهم بالإعراب، وعلى علماء اللغة اهتمامهم بالغريب دون نظر إلى هذه الدقائق والأسرار.

ويفصح عن ذلك بقوله لم أر غاية النحويين إلا كل شعرفيه إعراب، ولم أر غاية رواة الأشعار إلا كل شعر فيه الشاهد والمثل. ورأيت عامتهم — فقد طالت مشاهدتي لهم- لايقفون إلا على الألفاظ المتخيرة. والمعاني المتنخبة، وعلى الألفاظ العذبة والمخارج السهلة، والديباجة الكريمة وعلى الطبع المتمكن، وعلى السبك الجيد، وعلى كل كلام له ماء ورونق، وعلى المعاني التي إذا صارتْ في الصدور مرتها، وأصلحتها من الفساد القديم. وفتحت اللسان باب البلاغة، ودلت الأقلام على مدافن الألفاظ، وأشارتْ إلى حسان المعاني، ورأيت البصر بهذا الجوهر من الكلام في رواة الكتاب أعم، وعلى ألسنة حذاق الشعراء أظهر.

وهذا هو ما أطمئن إليه في التوفيق بين كلامه حول اللفظ والمعنى، وما عسى أن يفهمه البعض من التناقض في هذا الكلام.

---

[٨٩] البيان والتبيين ج ١: ص٢٨٧

إن المعنى الذي يريده الجاحظ هنا هو المعنى العام المشترك بين الناس، وهو لفظة تدل على معنى وكل الناس يعرفونها. أما معاني الشعر فهي ما يتوفر فيه ما ذكره الجاحظ في بقية النص فالجاحظ فهم أخر لأنه من أوائل من تنبهوا إلى أن الأسلوب الأمثل يبدأ من الحرف وصولا إلى البناء المتكامل للعمل الأدبي. واهتمام الجاحظ بالأسلوب جعله ينكر على الأدباء شغفهم بالغريب وبالتعابير المتكلفة، أما معيار التعبير الفني عنده، فهي في أن "تجتنب السوقيّ والوحشي, ولا تجعل همك في تهذيب الألفاظ وشغلك في التخلّص إلى غرائب المعاني، وفي الاقتصاد بلاغ، وفي التوسط مجانبة للوعورة، وخروج من سبيل من لا يحاسب نفسه".

ويذهب الجاحظ إلى أن العلاقة بين اللفظ والمعنى قائمة على أسس اجتماعية ومحكومة بفكرة الإبداع وان إيلاء احد الطرفين الأولوية في التعبير دون الأخر يُعد مساً وتشويهاً لعملية التعبير نفسها " فشر البلغاء من هيأ رسم المعنى قبل أن يهيئ المعنى عشقاً لذلك اللفظ وشغفاً بذلك الاسم".

فالألفاظ وهي محايدة واحدة عند البشر كافة، ولكن في الاستعمال كل يستعملها بحسب إحساسه ولذلك يحتاج هذا الإحساس إلى البناء، الرصف، التعليق، النسج، التصوير، النظم.

إن هذا التقسيم نابع من حرص ابن قتيبة على القيم الاجتماعية التي يدعو إليها وموازنتها بالجانب الفني. فإذا كان الشعر جيد من الناحية الفنية ولا يحمل قيمة اجتماعية قال عنه جيد اللفظ ولا معنى وراءه كشعر الغزل وهكذا يقال عن بقية تقسيمه.

فرغم إشارة الجاحظ إلى إمكان وجود معنى بدون لفظ فإنه يرى مستحيلاً أن "يكون اللفظ اسماً إلا وهو مضمن بمعنى، وقد يكون المعنى بلا اسم، ولا يكون اسماً إلا وله معنى".

والتمييز بين الحقلين لم يمنع من الدعوة إلى إحداث أشكال من الائتلاف بينهما أو تطابقهما. ويتحقق هذا الائتلاف في مستويات شتى منطلقها أساس وجودي – إن صح الوصف – يقوم على مقابلة المعنى واللفظ بالروح والجسد إذ إن "الأسماء في معنى الأبدان والمعاني في معنى الأرواح. اللفظ للمعنى بدن، والمعنى للفظ روح"، وتتبدى عملية الاحتواء اللفظي للمعنى كتضمن البدن للنفس فالنفوس "المضمنة كالمعاني المضمنة"[٩٠].

هذا المستوى الكوني يضيق ليتلبس بلبوس الأصول الاجتماعية والمنظور الأخلاقي ذلك أن "من أراد معنى كريماً فيلتمس لـــه لفظاً كريماً، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف"، ثم تتبسط المقابلات في أزواج ثنائية تمتد لتحكم صلة المعنى باللفظ خارج أطر المعتقدات الاجتماعية والأخلاقية لتتأسس وفق خواص في المعنى ذاته من حيث الوضوح والالتباس وذلك في قوله: "إنما الألفاظ على أقدار المعاني، فكثيرها لكثيرها، وقليلها لقليلها، وشريفها لشريفها، وسخيفها لسخيفها، والمعاني المفردة البائنة بصورها وجهاتها، تحتاج من الألفاظ إلى أقل مما تحتاج إليه المعاني المشتركة، والجهات الملتبسة"؛ فإذا كان بدء العلاقة بين الطرفين يقوم في الملاحظة السابقة على

---

[٩٠] الأخضر جمعي. اللفظ والمعنى في التفكير النقدي والبلاغي عند العرب. دمشق: اتحاد الكتاب العرب. ٢٠٠٥. ص: ٤٣

أساس كمّي فإن تفاعلهما تعمقه طبيعة المعنى ذاته، ذلك أن الغموض والالتباس يحتاجان إذا قصد التوضيح إلى الإطالة والشرح حيث إن عملية التفاعل محكومة بخصوصية في المعنى ذاته، ويتأكد هذا المجرى من منظور الكم أيضاً، فالمعاني "إذا كثرت والوجوه إذا افتنت، كثر عدد اللفظ، وإن حذفت فضوله بغاية الحذف"[٩١].

وانطلاقاً من هذه العلاقة بين المعنى واللفظ القائمة على أسس وجودية واجتماعية، ومحكومة بفكرة الإبداع، يكون إيلاء أحد الطرفين الأولوية في التعبير مساً وتشويهاً لعملية التعبير نفسها، فشر "البلغاء من هيّأ رسم المعنى قبل أن يهيئ المعنى عشقاً لذلك اللفظ وشغفاً بذلك الاسم حتى صار يجر إليه المعنى جراً ويلزقه إلزاقاً"، ذلك أن عدم إيفاء المعنى الغامض في ذاته حقه في اللفظ الملائم والمطابق والتعلق ببراعة اللفظ ونشدانه إحداث لعدم التوازن بين طرفي الدلالة "فاختر من المعاني ما لم يكن مستوراً باللفظ المنعقد مغرقاً في الإكثار والتكلف فما أكثر من لا يحفل باستهلاك المعنى مع براعة اللفظ وغموضه على السامع بعد أن يتسق له القول وما زال المعنى محجوباً لم تكشف عنه العبارة فالمعنى بعد مقيم على استخفائه وصارت العبارة لغواً وظرفاً خالياً.

وتأسيساً على ما سبق تكون "القاعدة الأولى والعامة لعلاقة اللفظ بالمعنى تقوم عنده على مطابقة اللفظ للمعنى".

---

[٩١] المرجع نفسه. ص: ٤٤

والجاحظ صريح في استخلاصه هذا المبدأ إذ يقول: "من علم حق المعنى أن يكون الاسم لـــه طبقاً، وتلك الحال لـــه وفقاً، ويكون الاسم لـــه لا فاضلاً ولا مفضولاً، ولا مقصراً، ولا مشتركاً، ولامضمناً". وعدم إيفاء هذا الأصل حقه من العناية يؤدي إلى اختلال التوازن بين الألفاظ والمعاني فيمتد أحد الطرفين على حساب الآخر، فالزنادقة: "أصحاب ألفاظ في كتبهم، وأصحاب تهويل، لأنهم حين عدموا المعاني ولم يكن عندهم منها طائل، مالوا إلى تكلف ما هو أخصر وأيسر وأوجز كثيراً".

وعلى الرغم أن من جاء بعد الجاحظ من النقاد يظل مديناً لإنجازه بالكثير، فإن تنوع ما طرح في البيئات الثقافية اللاحقة من قضايا، أملى شروطه على النقاد اللاحقين، فانطبع البحث في موضوع اللفظ والمعنى بخصوصية القضايا المطروحة، إذ ارتبط بأشكال الموازنة بين الشعراء وتداخل مع ثنائية الفصاحة والبلاغة، وشد إلى مقابلة الشعر بالنثر، ومع ذلك ظلت مباشرة النقاد القضية شاملة للطرفين، تقوم على مسلمة يقينية خلاصتها ضرورة تطابقهما وتآلفهما.

الباب الرابع

الاختتـــــــام

أ. الخلاصة

بعدما نبحث كثيرًا عن الجاحظ في حياته وثقافـــته ومؤلفـــاته إما في بصرة وفي بغداد حين الشيخوخة ثم آثار الجاحظ ثم اللفظ والمعنى مفهوما أكان عنده أو علاقة بينهما، فنستلخص تحليل البيانات السابقة، اعتمادا بما قد حصل عليه الباحث فكانت خلاصة هذا البحث ما يلي:

١. إن الألفاظ صورا وأشكالا وأثوابا، فالمعنى عنده جواهر، وجوار، تطلب وتقبل النفس عليها. مع أن المعنى على صفته هو قائم في الصدر ومتصور في الأذهان ومستور خفي وبعيد وحشي لايعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولاحاجة أخية وخليطه. فالمعنى شريفا واللفظ بليغا. إن الجاحظ في وجوه تفكيره قد أثر عليه كثيراً من كبار العلماء المعتزيلي بأنه في جهود تعليم عليهم.

٢. قضية اللفظ والمعنى ترتبط ارتباطا وثيقا بمعنى البلاغة، فإذا كانت البلاغة هي: مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحة أجزائه. فإن الجاحظ من أنصار اللفظ، وأنه يهمل جانب المعانى. فاللفظ عنده طريقة التعبير عن الفكرة، مكوّن أساسي من مكونات العلمية البيانية وجزء مؤثر في منطقتها الداخلي.

ب. **الاقتراحات**

كان اللغة العربية هي علم مهمة جدا في فهم أحد الثراث العربي خاصة في فهم دين الإسلام. بل هي آلة في معرفة مضمونة القرآن والحديث والعلوم الإسلامية الأخرى كما يقال.

ولأن بحث عن الجاحظ واسعة على جهة مؤلفاته المتنوعة الكثيرة من حيث العلوم اللغوية أو غيرها. إضافة إليها، هناك موضوعات كثيرة التي تتعلق بأفكار الجاحظ أو ما تتعلق بالبحوث عن اللفظ والمعنى. ويحتاج إلى تقديمها وتحليلها.

فيرجو الباحث أن يبحث عنه أويحلل الباحثون اللاّحقون تلك الموضوعات او ما يتعلق.

وكذا أن التراث العربي محتاج بإقامة البحث عليه فكأنه صار ظلّه في ثقافة الإسلام وخاصة في أنحاء مدرسي اللغة والإسلام بأندونيسي.

ويشكر الباحث الله تعالى بانتهاء هذا البحث وبعونه وهدايته راجيا له في الحياة. ويعتقد الباحث أنه لايبتعد عن الخطاء والنقصان في كتابة هذا

البحث فيرجو إلى الإنتقادات والتصويبات في تكميل هذا البحث العلمي .
وأخيرا جزاكم الله خيرا الجزاء نفعنا الله ذا البحث في الدنيا والآخرة، أمين يارب العالمين.

المراجع والمصادر

المصادر العربية

ابن جني. **الخصائص**. تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب. دون سنة.

ابن مالك. **شرح التسهيل**، تحقيق عبد الرحمان محمد بدوى المختون. ، القاهرة: دار هجر. ١٩٩٠م.

أبو البقاء الكفوي. **الكليات**، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري. بيروت: مؤسسة الرسالة. ١٩٩٣م.

أبي عثمان بن عمر بن بحر الجاحظ، **البيان والتبيين** (الطبعة السابعة). القاهرة: مطبع مداني. ١٩٩٨م.

ـــــــــــــ، **البخلاء** (بتحقيق وشرح طه الحاجري)، (الطبعة السابعة). القاهرة: دار المعارف. دون ستة.

ـــــــــــــ، **الحيوان** (بتحقيق وشرح عبد السلام هارون). القاهرة: دار المعارف. دون ستة.

ـــــــــــــ، **رسائل الجاحظ** (بتحقيق وشرح عبد السلام هارون). القاهرة: مطبع مداني. ١٩٦٤م.

أحمد بدر. **أصول بحث العلمي ومناهجه**. الكويت، جامعة الكويت. ١٩٨٧م.

الأخضر جمعي. **اللفظ والمعنى في التفكير النقدي والبلاغي عند العرب**. دمشق: اتحاد الكتاب العرب. ٢٠٠٥م.

الأعلم الشنتمري. **النكت في التفسير كتاب سيبويه**، تحقيق رشيد بلحبيب.المغرب: وزارة الأوقاف. ١٩٩٩م.

أمين الخولي. **الأعمال الكاملة: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب**. القاهرة: الهيئة المصرية الشامة للكتاب. ١٩٩٥م.

تونس محمد شاهين، **علم الغة العام**. دون سنة.

جميل جبر. ***الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد***، بيروت: دار الصادر. دون سنة.

جون لايتز. **اللغة والمعنى والسياق**، ترجمة عباس صادق الوهاب. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.١٩٨٧م.

حلمي خليل، **مقدمة لدراسة اللغة**. الأسكندرية : دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦م.

د. صلاح روّاى. **النحو العربي؛ تشاته، تطوره، مدارسه، رجاله**. القاهرة: دار غريب. ٢٠٠٣م.

ذوقان عبيدات. **البحث الجامعي**. القاهرة، الدار المصيرة اللبنانية. ١٩٨٨م.

السيوطي. **الأشباه والنظائر في النحو**، تحقيق عبد العال سالم مكرم. ، بيروت: مؤسسة الرسالة. ١٩٨٥م.

الشيخ خالد الأزهري. **تهذيب اللغة**. القاهرة: الدار المصرية العامة للتاليف والترجمة، ١٩٦٤م.

ـــــــــــــ، شرح التصريح على التوضيح. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية. دون سنة.

شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي (٤): العصر العباسي الثاني** (الطبعة الثالثة). القاهرة: دار المعارف. ١٩٧٣ م.

صبر ابراهم سيد، **اللغة الاجتماعي**. دار المعرفة الجامعة اكندرية. ١٩٩٥م.

عبد الرحمن أحمد عثمان، **مناهج البحث العلمي، وطرق كتابة الرسائل الجمعية**. أفريقية: جامعة خرطوم. ١٩٩٠م.

عبد الفتاح لاشين. **البيان في ضوء أساليب القرآن**. القاهرة: دار المعارف. ١٩٨٥م.

عبدالرحمن بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**. المغرب: دار الفكر. دون سنة.

علي رضا، **المرجع في اللغة الغربية نحوها وصرفها**. الجز الأول. دار الفكر.

فالح الربيعي، **تاريخ المعترلة فكرهم وعقائدهم** (دراسة في اسهامات المعتزلة في الأدب العربي). دار الثقافية للنشر. دون سنة.

فوزي السيد عبد ربه. **المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين.** القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية. ٢٠٠٥م.

محمد بن أحمد بن عبد البارى الأهدل. **الكواكب الدرية شرح متممة الآجرومية.** سورابايا: الهداية. دون سنة.

محمد تحريسي. **النقد والإعجاز.** دمسق: اتحاد الكتاب العرب. ٢٠٠٤م.

محمد عابد الجابري، **بنية العقل العربي.** بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. ١٩٩٠م.

مصطفى الغلابين، **جامع الدروس العرابية.** بيروت: دار الفكر ، ٢٠٠٠م.

منقور عبد الجليل، **علم الدلالة: أصوله ومباحثه في التراث العربي.** ٢٠٠١م.

نبيلة حسن محمد، **تاريخ الدولة العباسية**، اســـــكندرية: درا المعارف الجامعية. دون سنة.

المصادر الأندونيسية

Al Jabiri, Mohammad Abed. 2005. ***Post Tradisionalisme Islam.*** Yogyakarta: LKiS.

_____, 2004. ***Problem Peradaban: Penelusuran atas Jejak Kebudayaan Arab, Islam dan Timur***. Yogyakarta: Belukar

_____, 2003. ***Formasi Nalar Arab: Kritis Tradisi Menuju Pembebasan dan Pluralisme Wacana Interreligius*** (*Terj. Imam Khoiri*). Yogyakarta: IRCiSoD

Lyon, John. 1989. ***Language, Meaning & Context.*** Sulfolk: Fontana Paperback

Makdisi, George A., 2005. ***Cita Humanisme Islam.*** Jakarta: Serambi Ilmu Semesta

Marzuki. 2000. ***Metodologi Riset***. Yogyakarta: BFEE UII.

Moloeng, Lexy. 2002. ***Metode Penelitian Kualitatif***. Bandung: Remaja Rosyda Karya.

Munawaroh. 2012. ***Panduan Memahami Motodologi Penelitian.*** Malang: Intimedia.

Muwaffiqillah, Moh. 2011. ***Nalar Politik Islam-Arab: Motiv, Manivestasi, dan Gagasan Politik Islam ala Al-Jabiri***. Kediri: STAIN Kediri Press.

Nazir, Moh. 2005. ***Metode Penelitian***. Bogor: Penerbit Galia Indonesia

Perdana, Iwan. 2014. ***Metode Penyusunan Skripsi Pendidikan Bahasa Inggris.*** Malang: Intimedia.

Rahyono, FX.2002. ***Studi Makna.*** Jakarta: penaku